روضة الإيمان

علياء على عبيد

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ، وجعل أمتنا ولله الحمد خير أمة ، وبعث فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة أحمده أبلغ الحمد على جميع نعمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من بريته وصفوته من خليقته وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده أعرف الخلق به وأقومهم بخشيته وأنصحهم لأمته ، وأصبرهم لحكمه وأشكرهم لنعمه ، فثبت في مقام الصبر حتى لم يلحقه أحد من الصابرين وترقى في درجة الشكر حتى علا فوق جميع الشاكرين ، ولذلك خص بلواء الحمد دون جميع العالمين ، فآدم تحت لوائه ومن دونه الأنبياء والمرسلين ، وجعل الحمد فاتحة كتابه الذي أنزله عليه ، وسمى أمته الحامدين قبل أن يخرجهم إلى الوجود لحمدهم له على السراء والضراء والشدة والرخاء ، وجعلهم أسبق الأمم إلى دار الثواب والجزاء ، فأقرب الخلق إلى لوائه أكثرهم حمداً لله وذكراً ، كما أن أعلاهم منزلة أكثرهم صبراً وشكراً ، فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع المؤمنين عليه كما وحد الله وعرف به، ودعا إليه ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد

فإن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو ، وصارماً لا ينبو ، وجنداً لا يهزم ، وحصناً حصيناً لا يهدم ، فهو والنصر أخوان شقيقان فالنصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب والعسر مع اليسر وهو أنصر لصاحبه من

الرجال بلا عدة ولا عدد ، ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد وقد مدح الله عز وجل في كتابه الصابرين وأخبر أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب فقال تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [١] . وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز ، وفتحه المبين ، فقال تعالى : ﴿ **واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ [٢] .

والصبر آخية [٣] المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها ، وساق إيمانه التي لا اعتماد له إلا عليها ، فلا إيمان لمن لا صبر له وإن كان فإيمان قليل في غاية الضعف ، وصاحبه ممن يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ولم يحظ منهما إلا بالصفقة الخاسرة ، فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم ، فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ـ ولأهمية الصبر والشكر في حياتنا أحببت أن أكتب ما تيسر في هذا الكتاب وأسال الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعني به وأن ينفع به من قرأه أو أخذ به وعمل بما فيه ، إنه تعالى سميع الدعاء مجيب الرجاء وهو على كل شئ قدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

---

[١] سورة الزمر : آية : ١٠ .

[٢] سورة الأنفال : آية : ٤٦ .

[٣] آخية المؤمن : الآخية عروة تثبت في أرض أو حائط وتربط فيها الدابة . والمعنى أن الصبر كالعروة التي يرتبط بها المؤمن كلما جال بعيداً عنها رجع إليها لارتباطه بها .

الإيمان نصفان

نصف صبر ونصف شكر

ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر ، ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله تعالى : ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [1] .

ـ وقد ذكر لهذا التنصيف اعتبارات .

ـ **الاعتبار الأول** : أن الإيمان اسم لمجموع القول والعمل والنية ، وهي ترجع إلى شطرين ، فعل وترك ، فالفعل هو العمل بطاعة الله وهو حقيقة الشكر ، والترك هو الصبر عن المعصية ، والدين كله في هذين الشيئين فعل المأمور وترك المحظور .

ـ **الاعتبار الثاني** : أن الإيمان مبنى على ركنين : يقين وصبر ، وهما الركنان المذكوران في قوله تعالى : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [2] فباليقين يعلم حقيقة الأمر والنهى والثواب والعقاب ، وبالصبر ينفذ ما أمر به ويكف نفسه عما نهى عنه ولا يحصل له التصديق بالأمر والنهى أنه من عند الله وبالثواب والعقاب إلا باليقين ، ولا يمكنه الدوام على فعل المأمور وكف النفس عن المحظور إلا بالصبر ، فصار الصبر نصف الإيمان والنصف الثاني الشكر بفعل ما أمر به وبترك ما نهى عنه .

---

[1] سورة إبراهيم آية : ٥ . وسبأ آية : ١٩ . ولقمان آية : ٣١ . والشورى آية : ٣٣ .

[2] سورة السجدة : آية : ٢٤ .

ـ **الاعتبار الثالث** : أن الإيمان قول وعمل ، والقول قول القلب واللسان والعمل عمل القلب والجوارح ، وبيان ذلك أن من عرف الله بقلبه ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمناً كما قال عن قوم فرعون : **﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾** [1] وقال موسى لفرعون : **﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر ﴾** [2] فهؤلاء حصل لهم قول القلب وهو المعرفة والعلم ، ولم يكونوا بذلك مؤمنين ، وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمناً بل كان من المنافقين ، وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمناً حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة ، فيحب الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداءه ، ويستسلم بقلبه لله وحده ، وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهراً وباطناً وإذا فعل ذلك لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أمر به .

فهذه الأركان الأربعة هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه ، وهي ترجع إلى علم وعمل ، ويدخل في العمل كف النفس الذي هو متعلق النهى ، وكلاهما لا يحصل إلا بالصبر ، فصار الإيمان نصفين أحدهما الصبر ، والثاني متولد عنه من العلم والعمل .

ـ **الاعتبار الرابع** : أن النفس لها قوتان : قوة الإقدام وقوة الإحجام وهي دائماً تتردد بين أحكام هاتين القوتين فتقدم على ما تحبه وتحجم عما

---

(1) سورة النمل : آية : ١٤ .

(2) سورة الإسراء : آية : ١٠٢ .

تكرهه ، والدين كله إقدام وإحجام ، إقدام على طاعة وإحجام عن معاصي الله وكل منهما لا يمكن حصوله إلا بالصبر .

ـ **الاعتبار الخامس** : أن الدين كله رغبة ورهبة ، فالمؤمن هو الراغب الراهب قال تعالى : ﴿ **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً** ﴾ [1] وفي الدعاء عند النوم الذي رواه البخاري في صحيحه " **اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك** " فلا تجد المؤمن أبداً إلا راغباً وراهباً والرغبة والرهبة لا تقوم إلا على ساق الصبر ، فرهبته تحمله على الصبر ورغبته تقوده إلى الشكر .

ـ **الاعتبار السادس** : أن جميع ما يباشره العبد في هذه الدار لا يخرج عما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره في الدنيا والآخرة أو ينفعه في أحد الدارين ويضره في الأخرى . وأشرف الأقسام أن يفعل ما ينفعه في الآخرة ويترك ما يضره فيها وهو حقيقة الإيمان ، ففعل ما ينفعه هو الشكر ، وترك ما يضره هو الصبر .

ـ **الاعتبار السابع** : أن العبد لا ينفك عن أمر يفعله ، ونهى يتركه وقدر يجرى عليه ، وفرضه في الثلاثة الصبر والشكر ، ففعل المأمور هو الشكر وترك المحظور ، والصبر على المقدور هو الصبر .

ـ **الاعتبار الثامن** : أن العبد فيه داعيان : داع يدعوه إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها ، وداع يدعوه إلى الله والدار الآخرة وما أعد فيها

[1] سورة الأنبياء : آية : ٩٠ .

لأوليائه من النعيم المقيم فعصيان داعي الشهوة والهوى هو الصبر وإجابة داعي الله والدار الآخرة هو الشكر .

ـ **الاعتبار التاسع** : أن الدين مداره على أصلين : العزم والثبات ، وهما الأصلان المذكوران في الحديث الذي رواه أحمد والنسائي عن النبي ﷺ : " **اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد** " وأصل الشكر صحة العزيمة ، وأصل الصبر قوة الثبات فمتى أيد العبد بعزيمة وثبات فقد أيد بالمعونة والتوفيق .

ـ **الاعتبار العاشر** : أن الدين مبنى على أصلين : الحق والصبر ، وهما المذكوران في قوله تعالى : ﴿ **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [1] . ولما كان المطلوب من العبد هو العمل بالحق في نفسه وتنفيذه في الناس وكان هذا هو حقيقة الشكر لم يمكنه ذلك إلا بالصبر عليه .

ـ ولما كان الإيمان نصفين : نصف صبر ونصف شكر ، كان حقيقاً على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين ، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين ، وأن يجعل سيره إلى الله بين هذين الطريقين ليجعله الله يوم لقائه مع خير الفريقين .

ـ ولهذا وضع هذا الكتاب للتعريف بشدة الحاجة والضرورة إليهما وبيان توقف سعادة الدنيا والآخرة عليهما ، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصابرين على بلائه ، الراضين بقضائه ، الشاكرين على نعمائه إنه نعم المجيب .

---

[1] سورة العصر : آية : ٣ .

نصف الإيمان الأول

الصبر

ـ معنى الصبر والأمور المضادة له :

ـ الصبر لغة هو المنع والحبس ، وشرعاً هو حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك . وما يضاد الصبر واقع تحت هذا المعنى ، وتوضيح ذلك كالآتي .

ـ **أولاً : حبس النفس عن الجزع** : فمن الأمور التي تضاد الصبر الجزع عند ورود المصيبة .

ـ وسئل القاسم بن محمد عن الجزع فقال : القول السيئ والظن السيئ .

ـ وقال عبيد بن عمير : ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب ولكن الجزع القول السيئ والظن السيئ .

ـ وعن سعيد بن جبير قال : الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله ، ورجاء ثوابه ، وقد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر. قال إبراهيم رحمه الله فقوله : اعتراف العبد لله بما أصابه منه كأنه تفسير لقوله : ﴿ **إنا لله** ﴾ فيعترف أنه ملك لله يتصرف فيه مالكه بما يريد ، وقوله : " راجياً به ما عند الله " كأنه تفسير لقوله ﴿ **وإنا إليه راجعون** ﴾ [1] أي نرد إليه فيجزينا على صبرنا ولا يضيع أجر المصيبة ، وقوله : " وقد يجزع الرجل وهو يتجلد " أي ليس الصبر

---

[1] سورة البقرة : آية : ١٥٦ .

بالتجلد وإنما هو حبس القلب عن التسخط على المقدور ، ورد اللسان عن الشكوى فمن تجلد وقلبه ساخط على القدر فليس بصابر .

ــ وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها ، ويحبط أجره ، ويغضب ربه ، ويسر شيطانه ، ويضعف نفسه ، ويشمت عدوه ويسوء صديقه ، ، أما إذا صبر واحتسب أرضى ربه ، وأخزى شيطانه وسر صديقه ، وساء عدوه ، ونال الأجر العظيم والمنزلة العالية من الله تبارك وتعالى .

ــ **ثانياً : حبس اللسان عن التشكي** : فمن الأمور التي تضاد الصبر الشكوى إلى غير الله تعالى ، والمعروف أن الشكوى نوعان :

ــ **النوع الأول** : الشكوى إلى الله عز وجل فهذا لا ينافي الصبر كما قال يعقوب عليه السلام : ﴿ **إنما أشكو بثي وحزني إلى الله** ﴾ [١] مع قوله ﴿ **فصبر جميل** ﴾ [٢] .

ــ وقال أيوب عليه السلام : ﴿ **أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾ [٣] مع وصف الله له بالصبر فقال عز وجل : ﴿ **إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب** ﴾ [٤] .

ــ وقال سيد الصابرين صلوات الله وسلامه عليه : " **اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي** ... الخ " [٥] .

---

[١] سورة يوسف : آية : ٨٦ .

[٢] سورة يوسف : آية : ٨٣ .

[٣] سورة الأنبياء : آية : ٨٣ .

[٤] سورة ص : آية : ٤٤ .

[٥] رواه الطبراني .

ـ وقال موسى صلوات الله وسلامه عليه : " **اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك** " .

ـ ولابد أن يعلم المصاب أن الذي ابتلاه بمصيبته ، أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأنه سبحانه لم يرسل البلاء ليهلكه به ولا ليعذبه وإنما ابتلاه به ، ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه ، وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحاً على بابه ، لائذاً بجنابه ، رافعاً قصص الشكوى إليه .

ـ وفي بعض كتب الله سبحانه " إن الله ليصيب العبد بالأمر يكرهه وإنه ليحبه لينظر كيف تضرعه إليه " .

ـ **والنوع الثاني** : الشكوى إلى الخلق :

ـ فالشكوى إلى الخلق تنافي الصبر وتضاده ، فمن شكا ما به إلى مخلوق مثله ، فقد شكا من يرحمه ويلطف به ويعافيه وبيده ضره ونفعه إلى من لا يرحمه وليس بيده نفعاً ولا ضراً ، وقد سمع أحد الصالحين رجلاً يشتكي إلى أخيه فقال له : يا هذا والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك وفي ذلك قيل :

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ∴ تشكي الرحيم إلى الذي لا يرحم

ـ أما إخبار المخلوق بالحال إن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال ضرورة لم يقدح ذلك في الصبر ، كإخبار المريض للطبيب بشكايته ، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله ، وإخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه ، وقد كان النبي ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حاله ويقول : " كيف تجدك ؟ " وهذا استخبار منه واستعلام بحاله .

ـ وأما الأنين فهل يقدح في الصبر ؟ فيه روايتان عن الإمام أحمد . قال القاضي أبو الحسين : أصح الروايتين الكراهة ، لما روي عن طاووس أنه كان يكره الأنين في المرض .

ـ قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ : اعلم أن الأنين على قسمين أنين شكوى فيكره ، وأنين استراحة وتفريج فلا يكره ، والله أعلم .

ـ ثالثاً : حبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك :

فمما ينافي الصبر شق الثياب عند المصيبة ولطم الوجه والضرب بإحدى اليدين على الأخرى ، وحلق الشعر والدعاء بالويل ، ولهذا برئ النبي ﷺ ممن صلق وحلق وخرق : صلق رفع صوته عند المصيبة ،وحلق رأسه ، وشق ثيابه ، ولا ينافيه البكاء . فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ : دخل على ابنه إبراهيم رضى الله عنه وهو يجود بنفسه [١] فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان [٢] ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : " يا ابن عوف إنها رحمة " ثم أتبعها بأخرى فقال : " **إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون** " [٣] .

ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " **ما كان من العين ومن القلب فمن الله والرحمة ، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان** " [٤] .

---

[١] أي : يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ما يجود به .

[٢] أي : تدمعان .

[٣] رواه البخاري وروى بعضه مسلم ، والأحاديث بنحو ما ذكرته كثيرة ومشهورة .

[٤] رواه أحمد .

حقيقة الصبر
وكلام الناس فيه

ـ حقيقة الصبر : أنه خلق فاضل من أخلاق النفس ، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها . فالنفس مطية العبد التي يسير عليها إلى الجنة أو النار والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطية ، فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمام شردت في كل مذهب ، قال بعضهم : " اقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة إلى كل سوء فرحم الله امرءاً جعل لنفسه خطاماً وزماماً فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وصرفها بزمامها عن معاصي الله ، فإن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه " .

ـ والنفس فيها قوتان : قوة الإقدام وقوة الإحجام ، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه ، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره ، ومن الناس من تكون قوة صبره على فعل ما ينتفع به وثباته عليه أقوى من صبره عما يضره ، فيصبر على مشقة الطاعة ولا صبر له عن دواعي هواه إلى ارتكاب ما نهى عنه ومنهم من تكون قوة صبره عن المخالفات أقوى من صبره على مشقة الطاعات ، ومنهم من لا صبر له على هذا ولا ذاك ، وأفضل الناس أصبرهم على النوعين فكثير من الناس يصبر على مكابدة قيام الليل في الحر والبرد ، وعلى مشقة الصيام ولا يصبر عن نظرة محرمة ، ولا يتورع من إطلاق لسانه في الكبائر من الذنوب ، كالغيبة والنميمة ، والتفكه في أعراض الخلق .

ـ ومن الناس من يصبر عن النظر وعن الالتفات إلى الصور ، وعــن إطلاق لسانه في الغيبة والنميمة ، ولا صبر له على الأمــر بــالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين ، بل هو أضعف شئ عن هذا وأعجزه ، وأكثرهم لا صبر له على واحد من الأمرين ، وأقلهم أصبرهم في الموضعين ، وقيل : " الصبر ثبات باعث العقل والدين فــي مقابلــة باعث الهوى والشهوة " ومعنى هذا أن الطبع يتقاضى ما يحب وبــاعث العقل والدين يمنع منه ، والحرب قائمة بينهما ، ومعركة هذا القتال قلــب العبد والصبر والشجاعة والثبات .

ـ وقيل الصبر في القرآن يعني : حبس النفس على ما تكــره ، ابتغــاء مرضاة الله كما قال تعالى : ﴿ **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم** ﴾ [١] .

ـ وسئل الجنيد بن محمد عن الصبر فقال : تجرع المرارة مــن غــير تعبس .

ـ وقال ذو النون : هو التباعد عن المخالفات ، والسكون عنــد تجــرع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة .

ـ وقال عمرو بن عثمان المكى : الصبر هو الثبات مع الله وتلقى بلائــه بالرحب والدعة .

ـ وقال أبو على الدقاق : حد الصبر أن لا يعترض على التقدير .

ـ وقيل : الصبر هو الاستعانة بالله .

ـ وقيل : الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

ـ وقيل : هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى .

ـ وقيل : الصبر ثبات القلب عند موارد الاضطراب .

---

[١] سورة الرعد : آية : ٢٢ .

مراتب الصبر

وأسمائه

ـ لما كان الصبر المحمود هو الصبر النفساني الاختياري عن إجابة داعي الهوى المذموم كانت مراتبه وأسماؤه بحسب متعلقه .

ـ فإنه إن كان صبراً عن شهوة الفرج المحرمة سمى عفة . . وضدها الفجور والزنا والعهر .

ـ وإن كان عن شهوة البطن وعدم التسرع إلى الطعام أو تناول ما لا يجمل منه سمى شرف نفس ، وشبع نفس . . وسمى ضده شرهاً ودناءة ووضاعة نفس .

ـ وإن كان عن إظهار ما لا يحسن إظهاره من الكلام سمى كتمان سر . . وضده إذاعة وإفشاء أو تهمة أو فحشاء أو سباً أو كذباً أو قذفاً .

ـ وإن كان عن فضول العيش سمى زهداً . . وضده حرصاً .

ـ وإن كان على قدر يكفى من الدنيا سمى قناعة . . وضدها الحرص أيضاً .

ـ وإن كان عن إجابة داعي الغضب سمى حلماً . . وضده تسرعاً .

ـ وإن كان عن إجابة داعي العجلة سمى وقاراً وثباتاً . . وضده طيشاً وخفة .

ـ وإن كان عن إجابة داعي الفرار والهرب سمى شجاعة . . وضده جبناً وخوراً .

ـ وإن كان عن إجابة داعي الانتقام سمى عفواً وصفحاً . . وضده انتقاماً وعقوبة .

ـ وإن كان عن إجابة داعي الإمساك والبخل سمى جوداً . . وضده بخلاً .

ـ وإن كان عن إجابة داعي الطعام والشراب في وقت مخصوص سمى صوماً

ـ وإن كان عن إجابة داعي العجز والكسل سمى كيساً .

ـ فله عند كل فعل وترك اسم يخصه بحسب متعلقه ، والاسم الجامع لذلك كله " الصبر " وهذا يدلك على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر من أولها إلى آخرها .

ـ وهكذا يسمى عدلاً إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين . . وضده الظلم .

ـ ويسمى سماحة إذا تعلق ببذل الواجب والمستحب بالرضا والاختيار

ـ وعلى هذا جميع منازل الدين .

ـ فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولا تتم إلا بالصبر لأنها تحتاج إلى مجاهدة حتى تصبح أخلاقاً عملية للمؤمن ، ولذلك لما سئل عليه الصلاة والسلام مرة عن الإيمان قال : " هو الصبر " لأنه أكثر أعماله وأعزها ، كما قال : " الحج عرفة " . فلا نجاح في الدنيا إلا بالصبر ولا فلاح في الآخرة واستحقاق الجنة إلا بالصبر ، قال تعالى في شأن عباد الرحمن : ﴿ **أولئك يجزون الغرفة " أي الجنة " بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً** ﴾ [١] . فالصبر هنا يحمل في طياته جملة شعب الإيمان وأخلاق الإسلام .

---

[١] سورة الفرقان : آية : ٧٥ .

الصبر خصيصة

إنسانية

ـ اعلم أخي المسلم : أن الصبر من خاصية الإنسان ، ولا يتصور في البهائم لنقصانها ، وغلبة الشهوات عليها من غير شئ يقابلها ، ولا يتصور الصبر أيضاً في الملائكة لكمالها ، فإن الملائكة جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية ولم تسلط عليهم شهوة صارفة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصدها عن حضرة الجلال ، فلا يتصور في حقهم الصبر الذي حقيقته ثبات باعث الدين والعقل في مقابلة باعث الشهوة والهوى فالإنسان منا إذا غلب صبره باعث الهوى والشهوة التحق بالملائكة ، وإن غلب باعث الهوى والشهوة صبره التحق بالشياطين ، وإن غلب باعث طبعه من الأكل والشرب والجماع صبره التحق بالبهائم .

ـ قال قتادة : خلق الله سبحانه الملائكة عقولاً بلا شهوات وخلق البهائم شهوات بلا عقول ، وخلق الإنسان وجعل له عقلاً وشهوة ، فمن غلب عقله شهوته فهو مع الملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله فهو كالبهائم .

ـ ولما خلق الإنسان في ابتداء الصبا ناقصاً ، لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه ، فصبره في هذه الحال بمنزلة صبر البهائم ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح " الشهوة الجنسية " على الترتيب ، وليس له في طفولته قوة الصبر ألبتة ، فإذا تحرك العقل وقوى ظهرت مبادئ إشراق نور الهداية عند سن التمييز ، وينمو على التدريج إلى سن البلوغ ، كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع

قرص الشمس ، ولكنها هداية قاصرة لا مرشد لها إلى مصالح الآخـــرة فإذا عقد بمعرفة الشرع تلمح ما يتعلق بالآخرة وكـــثر ســـلاحه ، إلا أن الطبع يقتضي ما يحب وباعث الشرع والعقل يمنع ، والحـــرب بينـــهما قائمة ، ومعركة هذا القتال قلب العبد ، فإن ثبت حتى قهر الشـــهوة فقـــد نصر حزب الله والتحق بالصابرين ، وإن ضعف حتى غلبت الشهوة ولـم يصبر على دفعها التحق باتباع الشياطين .

ـــ **درجات الصبر** :

ـــ اعلم أخي المسلم أن للصبر درجات ، فأقل درجات الصـــبر ، تـــرك الشكوى مع الكراهة ، ووراءها الرضا ، وهو مقام وراء الصبر ، ووراء ذلك الشكر على البلاء ، فإنه يشهد المصيبة نعمة ، فيشكر المبلي عليها .

ـــ قال عمر بن عبد العزيز : أما الرضا فمنزلة عزيزة أو منيعة ، ولكـن قد جعل الله في الصبر معولاً حسناً .

ـــ والفرق بين الرضا والصبر : أن الصبر كف النفس وحبســـها عـــن التسخط مع وجود الألم وتمنى زوال ذلك ، وكف الجوارح عـــن العمـــل بمقتضى الجزع .

ـــ أما الرضا : فهو انشراح الصدر ، وسعته بالقضاء ، وتـــرك تمنـــي زوال ذلك المؤلم وإن وجد الإحساس بالألم ، لكن الرضا يخففـــه ، لمـــا يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة .

ـــ وإذا قوى الرضا فقد يزيل الإحساس بالألـــم بالكلية وهذا يصل إليـــه خواص أهل المعرفة والمحبة ، حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتـــهم صدوره عن حبيبهم .

ـ كما قال بعضهم : فما لجرح إذا أرضاكم ألم .

ـ وسئل بعض التابعين عن حاله في مرضه ؟ فقال أحبُّه إليه أحبُّه إليّ ! .

ـ وسئل سَرِيّ : هل يجد المحب ألم البلاء ؟ فقال : لا .

ـ فإن قيل : غالب الناس يصبرون ولا يرضون ، فكيف يُتصوَّرُ الرضى بالمكروه ؟ يقال : إن نفور الطبع عن المصائب ، لا ينافي رضا القلب بالمقدور ، فإنا نرضى القضاء ، وإن كرهنا المقتضى .

ـ قال عبد الواحد بن زيد : الرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ومستراح العابدين .

ـ وكانت أم الدرداء تقول : إن الراضين بقضاء الله ، الذين ما قضى الله لهم رضوا به ، لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة .

ـ والرضا من أعمال القلوب ، ولكن وإن كان من أعمال القلوب فكماله هو الحمد ، حتى إن بعضهم فسر الحمد بالرضا .

ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " **أول من يُدعى إلى الجنة الحمّادون ، الذين يحمدون الله في السراء والضراء** " [١] .

ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي ﷺ **إذا أتاه الأمر يسره قال : " الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات " ، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال : " الحمد لله على كل حال** " [٢] .

ـ ومحمد نبينا ﷺ هو صاحب لواء الحمد ، وأمته هم الحمّادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء .

---

[١] رواه الطبراني والحاكم .

[٢] رواه ابن السني .

ضرورة الصبر

ــ ترجع عناية القرآن البالغة بالصبر ، إلى ما له من قيمة كبيرة دينيــة وخُلقية ، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة ، بل هــو ضــرورة لازمة للإنسان ليرقى مادياً ومعنوياً ، ويسعد فرديــاً واجتماعيــاً ، فــلا ينتصر دين ، ولا تنهض دنيا إلا بالصبر .

ــ فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية .

ــ فلا نجاح في الدنيا ، ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر .

ــ في الدنيا ، لا تتحقق الآمال ، ولا تنجح المقاصد ، ولا يؤتــى عمــل أكله إلا بالصبر فمن صبر ظفر ، ومن عدم الصبر لم يظفر بشيء .

ــ لولا صبر الزارع على بذره ما حصد ، ولولا صبر الغــارس علــى غرسه ما جنى ، ولولا صبر الطالب على درسه ما تخرج ، ولولا صــبر المقاتل في ساح الوغى ما انتصر ، وهكذا كل الناجحين في الدنيا إنمــا حققوا آمالهم بالصبر ، استمرأوا المر ، واستعذبوا العذاب ، واســتهانوا بالصعاب ، ومشوا على الشوك ، وحفروا الصخور بالأظافر ، ولم يبالوا بالأحجار تقف في طريقهم والطعنات تغرس في ظهورهم ، وبالشــراك تنصب للإيقاع بهم ، وبالكلاب تنبح من حولهم ، بل مضوا في طريقــهم غير وانين ولا متوقفين ، متذرعين بالعزيمة ، مسلحين بالصبر .

ــ وما أصدق قول الشاعر :

وقل مــن جد فــي أمر يحاولــه ∴ واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

قد يعثرون ثم لا يلبثون أن ينهضوا ∴ وقد يخطئون ثم يوشكون أن يصيبوا

وقد يجرحون ثم لا يلبث جرحهم أن يندمل ، وقد يفشلون مرة ومرة فــلا يلقون السلاح ، ولا يستسلمون لليأس ، ولا يفقدون نور الأمل . شـعارهم قول الشاعر الحكيم :

لا تـيأسن وإن طالـت مطالبـة ∴ إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ∴ ومـدمن القرع للأبواب أن يلجا

ـ لقد عرف عُشَّاق المجد ، وخُطَّاب المعالي ، وطُـلاَّب السـيادة ، أن الرفعة في الدنيا كالفوز في الآخرة ، لا تنال إلا بركوب متن المشـقات وتجرع غصص الآلام ، والصبر عن كثير مما يحب ، وعلى كثير ممـا يكره ، وبدون هذا لا يتم عمل ، ولا يتحقق أمل ، ومن تخيل غير هـذا الطريق كان كالذي قال لابن سيرين : إني رأيتني في النوم أسبح في غير ماء ، وأطير بغير جناح ! ! فقال له : أنت رجل كثير الأماني والأحـلام تتمنى ما لا يقع ، وتحلم بما لا يتحقق ! !

ـ قال الشاعر :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ∴ لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ـ ويقول المتنبي مخاطباً نفسه :

ذريني أنل ما لا ينال من العلا ∴

فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل !

تريدين إدراك المعالي رخيصة ∴ ولابد دون الشهد من إبر النحل !

ـ وإذا كانت هذه طبيعة الطريق الموصلة إلى العلا والمجد ، فلا سـبيل إلى اجتيازها إلا بالصبر ، ولا يقدر عليها إلا الصابرون .

ـ قال بعض الحكماء : من صبر نال المنى ، ومن شكر حصن النعمى .

ـ هذا إذا نظرنا إلى النجاح في الدنيا ، فكيف إذا نظرنا إلى الفلاح في الآخرة ؟ !

ـ إن الحاجة إلى الصبر تبدو هنا أوكد ، والضرورة إليه أشد وألزم .

ـ يقول أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب : " اعلم أن الصبر سبب دخول الجنة ، وسبب النجاة من النار ، لأنه جاء في الخبر : " حَفت الجنة بالمكاره ، وحُفت النار بالشهوات " . فيحتاج المؤمن إلى صبر على المكاره ليدخل الجنة ، وإلى صبر عن الشهوات لينجو من النار " .

ـ وفي مقام آخر يقول : واعلم أن كثرة معاصي العباد في شيئين : قلة الصبر عما يحبون ، وقلة الصبر على ما يكرهون .

ـ الصبر إذن ضرورة للناس عامة ، وللمؤمنين خاصة .

ـ والقرآن يشير إلى ضرورة الصبر وأهميته ، حين يحدثنا عن خَلق الإنسان وما حُف به من ابتلاء ومكابدة ومعاناة .

ـ يقول الله تعالى : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه** ﴾ [١].

ـ ويقول تعالى : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ [٢] أي في شدة ومشقة لما يعانيه منذ مولده من شدائد الحياة الممزوجة اللذات بالآلام ، وما يعانيه بعد بلوغه من الابتلاء بالمسئولية وأمانة التكليف ، التي تنوء بحملها السموات والأرض والجبال ، وما يعانيه من الناس من حدة اللسان وأذى اليد وغير ذلك .

---

[١] سورة الإنسان : آية : ٢ .

[٢] سورة البلد : آية : ٤ .

ضرورة الصبر

للمؤمنين

ــ إذا كان الصبر ضرورة لازمة للناس عامة ، فهو أكثر لزوماً للمؤمنين خاصة ، لأن أهل الإيمان على وجه خاص أشد تعرضاً للأذى والمحن والابتلاء في أموالهم وأنفسهم وكل عزيز لديهم ، فقد اقتضى نظام الكون أن يكون لهم أعداء يمكرون بهم ويكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر ، كذلك جعل الله لآدم إبليس ، ولإبراهيم نمروذ ، ولموسى فرعون ، ولمحمد أبا جهل وأمثاله ، قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ [1] . وكذلك يكون المؤمنون من أتباع الأنبياء ، هم أشد الناس بلاء بعد الأنبياء : الأمثل فالأمثل .

ــ قال أبو الفرج بن الجوزي : ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تُعْتَوَرْ فيها الأمراض والأكدار ، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار ، فآدم يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا ، ونوح بكى ثلاثمائة عام ، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد ، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره ، وموسى يقاسي فرعون ويلقى من قومه المحن ، وعيسى بن مريم لا مأوى له إلا البراري في العيش الضنك ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين يصابر الفقر ، وقتل عمه حمزة وهو من أحب أقاربه إليه ، ونفور قومه عنه .

ــ فمن ظن أن طريق الإيمان مفروشة بالأزهار والرياحين ، فقد جهل طبيعة الإيمان بالرسالات ، وطبيعة أعداء الرسالات ، قال تعالى

---

[1] سورة الأنعام : آية : ١١٢ .

﴿ **آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾ [(١)] .

وقال تعالى : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب** ﴾ [(٢)] .

ـ الجنة إذن لا بد لها من ثمن ، وهي سلعة غالية ، فلا مفر من الثمن وقد دفعه أصحاب الدعوات من قبل ، فلابد أن يدفعه إخوانهم من بعد وهذا هو ثمن الجنة : الصبر على البأساء تصيب الأموال ، والضراء تصيب الأبدان ، والزلزلة تصيب النفوس ، ولا بد أن يبلغ هذا الزلزال النفسي من الشدة إلى حد يقول عنده الرسول ـ أي رسول ـ والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ يستبطئونه فقد طال انتظارهم له ، وطالت فترة الأذى عليهم وطالت شماتة العدو بهم ، فمتى يجيء إذن نصر الله الموعود ؟! ألا إن نصر الله قريب .

ـ وفي أعقاب غزوة أُحد التي مس المسلمين فيها من القرح ما مسهم وفقدوا سبعين شهيداً من أبطالهم ، ينزل القرآن فيقول :﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ [(٣)] .

ـ ومن هنا أمر القرآن المؤمنين أن يستعينوا بعدتي الصبر والصلاة على ما يواجههم من محن في سبيل دعوتهم ، فقال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة العنكبوت : آية : ١ : ٣ .
(٢) سورة البقرة : آية : ٢١٤ .
(٣) سورة آل عمران : آية : ١٤٢ .
(٤) سورة البقرة : آية : ١٥٣ .

ثم عزاهم فيمن فقدوا من أحبابهم ممن اتخذهم الله شهداء فقال تعالى﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون** ﴾ (١) .

ـ ثم بين سبحانه ما ينتظرهم من ألوان البلاء ، مؤكداً ذلك بلام القسم ونون التوكيد ، إذ يقول تعالى : ﴿ **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ (٢) .

ـ فالبلاء هنا بلاء عام يصيب القلوب بالخوف ، والبطون بالجوع والأموال بالنقص ، والأنفس بالموت ، والثمرات بالآفات ، ومن لطف الله تعالى ورحمته هنا أنه جعل البلاء : " بشيء من الخوف والجوع ونقص ... " الخ وتنكير " شئ " هنا ـ كما يدل عليه السياق ـ للتقليل والتحقير ، لأن ما هو أكثر وأكبر لا يطيقونه ، فمسهم بشيء قليل من البلاء تخفيفاً عنهم ورحمة بهم وتقديراً لضعفهم . ومثل هذا التأكيد على ضرورة البلاء للمؤمنين خاصة ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾ (٣) .

ـ وهنا عدة ملاحظات في هذه الآية الكريمة جديرة بالانتباه والتسجيل :

ـ **الأولى** : أن الله تعالى وصف الأذى المسموع من أهل الكتاب والمشركين بالكثرة " أذى كثيراً " وهذا يدل على أن حرباً كلامية ستُعلن

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٥٤ .

(٢) سورة البقرة : آية : ١٥٥ : ١٥٦ .

(٣) سورة آل عمران : آية : ١٨٦ .

علي أهل الإيمان ، لتشويه دعوتهم ، وتلويث سمعتهم ، والتشـــكيك فـــي سيرتهم وسريرتهم ، وهي حرب أسلحتها الدس والتحريــف والافــتراء فلا بد أن يوطن المؤمنون أنفسهم على احتمال مكارهها ، ويصبروا على تجرع غصصها ، حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل .

ـ **الثانية** : أن الآية قرنت هنا بين الصبر والتقوى ، فلــم تكتــف مــن المؤمنين بالصبر وحده حتى يجمعوا على تقــوى الله تعــالى ، ومعنــى التقوى هنا : التعفف عن مقابلة الخصوم بمثل أســلحتهم الدنيئــة ، فــلا يواجه الدس بالدس ، ولا الافتراء بالافتراء ، لأن المؤمنين تحكمهم قيمهم الأخلاقية في السلم والحرب والرخاء والشدة .

ـ **الثالثة** : أن الآية قرنت كذلك بين الذين أوتوا الكتــاب مــن اليــهود والنصارى ، وبين الذين أشركوا من الوثنيين العرب ومن على شــاكلتهم هذا مع اختلاف الفريقين في الدين والوجهة ، وفي هذا إشــارة إلــى أن عداوتهم لأهل الإسلام وحدت بينهم على ما بينهم من اختلاف ، وهذا مــا أثبته التاريخ قديماً وأثبته الواقع حديثاً ، أثبته التاريخ حينما وجدنا اليــهود ـ وهم أهل الكتاب ـ ينضمون إلى جهة المشركين عُباد الأوثــان مــن قريش وغطفان وغيرهما في حرب النبي ﷺ إلى غير ذلك من وقــائع التاريخ . وأثبته الواقع المعاصر ، حيــث وجدنــا اليهوديــة العالميــة والشيوعية الدولية ، والصليبية الغربية والشرقية تختلف فيما بينها أشــد الاختلاف ، ثم تتناسى هذا كله حين يكون العدو هو الإســلام ، فتجتمــع كلمتها على حرب أمة الإسلام ودعوة الإسلام ، وهذا مصداق ما جاء في القرآن : ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** ﴾ [١] .

---

[١] سورة الأنفال : آية : ٧٣ .

ضرورة المحن
لأهل الإيمان

ـ وإنما كانت المحن ضرورة لأهل الإيمان لجملة معان وحكم نبه عليها القرآن الكريم ، منها :

ـ **أولاً** : تطهير الصف المؤمن من أدعياء الإيمان من المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، فإبان العافية والسراء يختلط فيها الحابل بالنابل والخبيث بالطيب ، وإنما يقع التمييز بين الأصيل والدخيل بالمحن والبلاء كما يتميز الذهب الحقيقي من الزائف بالامتحان بالنار .

ـ قال تعالى : ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب** ﴾ [1] .

ـ إن من الناس من يدخل في زمرة المؤمنين ويلبس لبوسهم ، ويتكلم بلسانهم فإذا أصابته فتنة أو محنة ، خارت قواه ، وانحلت عراه وتسرب الجزع والحزن إلى قلبه بصورة لا تحتملها الجبال الراسيات .

ـ قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** ﴾ [2] .

ثانياً : تربية المؤمنين ، وصقل معادنهم ، وتمحيص ما في قلوبهم ، فهم ينضجون بالمحن كما ينضج الطعام بالنار .

ـ قال تعالى : ﴿ **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام**

---

[1] سورة آل عمران : آية : ١٧٩ .

[2] سورة الحج : آية : ١١ .

نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكـــم شـــهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ [١] .

ـــ **ثالثا** : زيادة رصيدهم ومقامـــهم عـــند الله ، فـــهو يرفـــع درجاتـــهم ويضاعف حسناتهم ، أو على الأقل ، يكفر خطاياهم ، حتى يمشى أحدهم على الأرض وما عليه خطيئة ، غسلته المحن غسلاً ، وطهرته الشـــدائد تطهيراً ، وإذا كانت الخطايا لازمة للبشر ، لأنهم ليسوا ملائكة مطـــهرين ولم تضمن العصمة من الذنوب لأحد غير الأنبياء ، فإن من رحمـــة الله تعالى بعباده المؤمنين أن يتعهدهم بالابتلاء بعد الابتلاء ، لتتحات عنـــهم الخطايا بالصبر والاحتساب كما يتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس .

ـــ فالابتلاء للمؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيـــت فيـــه أهلكته أو نقصت ثوابه ، وأنزلت درجته ، فيستخرج الابتلاء والامتحـــان منه تلك الأدواء ويستعد به لتمام الأجر ، وعلو المنزلة .

ـــ وفي الحديث الصحيح : " **ما يصيب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفرالله بها مـــن خطاياه** " [٢] .

ـــ وعن بريدة الأسلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **ما أصاب رجلاً من المسلمين نكبة فما فوقها حتى الشوكة ، إلا لإحدى خصلتيـــن إما ليغفر الله له من الذنوب ذنباً لم يكن ليغفره له إلا بمثـــل ذلـــك ، أو يبلغ به من الكرامة كرامة لم يكن ليبلغها إلا بمثل ذلك** " [٣] .

---

[١] سورة آل عمران : آية : ١٤٠ : ١٤١ .

[٢] رواه البخاري .

[٣] رواه ابن أبى الدنيا .

فضيلةِ الصبر

من نصوص القرآن الكريم

ـ وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعاً وأضاف إليه أكثر الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له فقال تعالى : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [1] فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

ـ ومدح الصابرين ووعدهم أن يوفيهم أجرهم بغير حساب ، قال تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [2] .

ـ قال سليمان بن القاسم كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر قال الله تعالى ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ قال : كالماء المنهمر .

ـ وجمع سبحانه للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلاة منه عليهم التي تعني التزكية والمغفرة ، ولم تكن واحدة بل صلوات صلاة بعد صلاة ، ورحمته لهم ، التي تعني اللطف والإحسان ، وهدايته إياهم ومن أثبت الله له الهداية فلن يضل أبداً ، قال تعالى :﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [3] وقال بعض السلف وقد عزى على مصيبة نالته فقال مالي لا أصبر وقد وعدني الله

---

[1] سورة السجدة : آية : ٢٤ .

[2] سورة الزمر : آية : ١٠ .

[3] سورة البقرة : آية : ١٥٥ : ١٥٦ : ١٥٧ .

على الصبر ثلاث خصال كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها .

ـ أنه سبحانه أخبر عن محبته لأهل الصبر وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين فقال تعالى : ﴿ **والله يحب الصابرين** ﴾ (١) .

ـ فوز الصابرين بمعية الله سبحانه وتعالى قال عز وجل : ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ (٢) قال أبو على الدقاق : فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته .

ـ تعليق الفلاح بالصبر والتقوى قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ (٣) .

ـ فعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور .

ـ وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون فقال تعالى : ﴿ **إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون** ﴾ (٤) .

ـ أنه سبحانه أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة بصبرهم قال تعالى : ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ﴾ (٥) .

ـ جعل سبحانه الصبر عوناً وعدة ، وأمر بالاستعانة به فقال تعالى ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ (٦) فمن لا صبر له لا عون له .

---

(١) سورة آل عمران : آية : ١٤٦ .

(٢) سورة البقرة : آية : ١٥٣ .

(٣) سورة آل عمران : آية : ٢٠٠ .

(٤) سورة المؤمنون : آية : ١١١ .

(٥) سورة الرعد : آية : ٢٣ : ٢٤ .

(٦) سورة البقرة : آية : ٤٥ .

ـ علق سبحانه النصر بالصبر والتقوى فقال تعالى : ﴿ **بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** ﴾ [١] . لهذا قال النبي ﷺ : " **واعلم أن النصر مع الصبر** " .

ـ وأخبر سبحانه أنه مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط فقال تعالى : ﴿ **وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً** ﴾ [٢].

ـ أنه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به ، ثم أقسم قسماً مؤكداً غاية التأكيد أن صبرهم خير لهم فقال تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ [٣] .

ـ أنه سبحانه رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال تعالى : ﴿ **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير** ﴾ [٤] .

ـ أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور ، أي بما يعزم من الأمور التي إنما يعزم على أجلها وأشرفها فقال تعالى :﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ [٥] .

ـ أنه سبحانه وعد المؤمنين بالنصر والظفر ، وهي كلمته التي سبقت لهم وهي الكلمة الحسنى ، وأخبر أنه إنما أنالهم ذلك بالصبر

---

[١] سورة آل عمران : آية : ١٢٥ .

[٢] سورة آل عمران : آية : ١٢٠ .

[٣] سورة النحل : آية : ١٢٦ .

[٤] سورة هود : آية : ١١ .

[٥] سورة الشورى : آية : ٤٣ .

فقال تعالى : ﴿ **وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا** ﴾ [١] .

ـ وأخبر أن الرغبة في ثوابه والإعراض عن الدنيا وزينتها لا ينالها إلا أولو الصبر المؤمنون فقال تعالى : ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ [٢] .

ـ وأخبر تعالى أن دفع السيئة بالتي هي أحسن تجعل المسيء كأنه ولي حميم ، وأن هذه الخصلة لا يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم فقال تعالى : ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ [٣] .

ـ أنه سبحانه حكم بالخسران حكماً عاماً على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر ، وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم فقال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [٤] .

ـ ولهذا قال الشافعي : لو فكر الناس كلهم في هذه الآية لوسعتهم ، وذلك أن العبد كماله في تكميل قوتيه : قوة العلم وقوة العمل وهما الإيمان

---

(١) سورة الأعراف : آية : ١٣٧ .

(٢) سورة القصص : آية : ٨٠ .

(٣) سورة فصلت : آية : ٣٤ : ٣٥ .

(٤) سورة العصر : آية : ١ : ٣ .

والعمل الصالح ، وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج إلى تكميل غيره ، وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وآخية ذلك وقاعدته وساقه الذي يقوم عليه إنما هو بالصبر .

ـ أنه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ووصوا بهما غيرهم فقال تعالى : ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة** ﴾ [1] وهذا حصر لأصحاب الميمنة فيمن قام به هذان الوصفان والناس بالنسبة إليهما أربعة أقسام هؤلاء خير الأقسام ، وشرهم من لا صبر له ولا رحمة فيه ، ويليه من له صبر ولا رحمة عنده ، ويليه القسم الرابع وهو من له رحمة ورقة ولكن لا صبر له .

ـ وخص بالانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييزاً لهم بهذا الحظ الموفور فقال في أربع آيات من كتابه : ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [2] .

ـ أنه سبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها فقرنه بالصلاة فقال تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ [3] .

ـ وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً فقال تعالى : ﴿ **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات** ﴾ [4] .

---

[1] سورة البلد : آية : ١٧ : ١٨ .

[2] سورة إبراهيم آية : ٥ . سورة لقمان آية : ٣١
سورة سبأ آية : ١٩ . سورة الشورى آية : ٣٣ .

[3] سورة البقرة : آية : ٤٥ .

[4] سورة هود : آية : ١١ .

ـ وجعله سبحانه وتعالى قرين التقوى فقال تعالى : ﴿ **إنه من يتق ويصبر** ﴾ [1] .

ـ وجعله سبحانه قرين الشكر فقال تعالى : ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [2] .

ـ وجعله سبحانه قرين الحق فقال تعالى : ﴿ **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [3] .

ـ وجعله سبحانه قرين الرحمة فقال تعالى : ﴿ **وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** ﴾ [4] .

ـ وجعله سبحانه قرين اليقين فقال تعالى : ﴿ **لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [5] .

ـ وجعله سبحانه قرين الصدق فقال تعالى : ﴿ **والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات** ﴾ [6] .

ـ وجعله سبب محبته ومعيته ونصره وعونه وحسن جزائه ويكفى ذلك شرفاً وفضلاً .

---

[1] سورة يوسف : آية : ٩٠ .

[2] سورة إبراهيم آية : ٥ . سورة لقمان آية : ٣١
سورة سبأ آية : ١٩ . سورة الشورى آية : ٣٣ .

[3] سورة العصر : آية : ٣ .

[4] سورة البلد : آية : ١٧ .

[5] سورة السجدة : آية : ٢٤ .

[6] سورة الأحزاب : آية : ٣٥ .

فضيلة الصبر

من نصوص السنة

ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : **لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال : " أمؤمنون أنتم " فسكتوا ، فقال عمر : نعم يا رسول الله : قال : " وما علامة إيمانكم " ؟ قالوا : نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء ، فقال ﷺ : " مؤمنون ورب الكعبة "** [١] .

ـ وعن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ، أو تملأ ، ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** " [٢] .

ـ فإذا كان الطهور شطر الإيمان ، لأنه لا تصح عبادة من غير طهارة وكانت الصلاة نوراً ، والصدقة برهاناً ، والقرآن حجة ، فإن الصبر هو الضياء الذي يستطيع الإنسان به أن يبصر هذه الفضائل ، فيتمسك بها ويداوم عليها ، لذا فإن من رزقه الله الصبر ، فقد رزق الخير كله .

---

[١] رواه الطبراني في الأوسط .

[٢] رواه مسلم .

وقوله ﷺ : " **كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** " معناه أن كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها ، أي يهلكها .

ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **من يتصبر يصبره الله ، وما أُعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر** " [١] . قوله ﷺ : " **من يتصبر يصبره الله** " أي من صبر على ضيق العيش وغيره ، من مكاره الدنيا ، بأن يتجرع مرارة ذلك ولا يشكو لغير مولاه ، يصبره الله ، ويقويه ، ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له ويذعن لتحمل الشدة ، فعند ذلك يكون الله معه فيظفره بمطلوبه .

وقوله ﷺ : " **وما أُعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر** " ذلك لشرف الصبر وعلو مقامه ، لأنه جامع لمكارم الأخلاق ، ومعالي الصفات ، فلا ينال شيئاً منها إلا من تحلى به ، قال ابن الجوزي : وإنما جعل الصبر خير العطاء لأنه حبس النفس عن فعل ما تحبه ، وإلزامها بفعل ما تكره في العاجل مما لو فعله ، أو تركه لتأذى به في الآجل .

ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " **اعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً** " [٢] .

---

[١] متفق عليه .

[٢] رواه أحمد .

ـ وعن أم هانئ رضى الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ فقال " **أبشري ! فإن الله عز وجل قد أنزل لأمتي الخير كله ، وقد أنزل ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ [١] فقالت : بأبي أنت وأمي ، ما تلك الحسنات ؟ قال : " الصلوات الخمس " ، ثم دخل علي فقال : " أبشري ! فإنه قد نزل خير لا شر بعده " قلت : ما هو بأبي أنت وأمي ؟ قال " أنزل الله جل ذكره : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ [٢] فقلت يا رب زد أمتي ، فأنزل الله تبارك اسمه : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ﴾ [٣] فقلت : يارب زد أمتي ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب [٤] ﴾ [٥]** .

ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب ، ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان ، فيصب عليهم الأجر صبا ، حتى أن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله** " [٦] .

---

[١] سورة هود : آية : ١١٤ .

[٢] سورة الأنعام : آية : ١٦٠ .

[٣] سورة البقرة : آية : ٢٦١ .

[٤] سورة الزمر : آية : ١٠ .

[٥] رواه ابن أبى الدنيا .

[٦] رواه الطبرانى .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إذا أحب الله عبداً أو أراد أن يصافيه ، صب عليه البلاء صبا ، وثجه عليه ثجا ، فإذا دعا العبد وقال : يارباه ، قال الله : لبيك عبدي ، لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك ، إما أن أعجله لك وإما أن أدخره لك** " [1] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **من يرد الله به خيراً يصب منه** " [2] . أي يصيبه ببلاء .

ـ وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " **إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط** " [3] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة ، فما يبلغها بعمل ، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها** " [4] .

ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " **المصيبة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه** " [5] .

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا .

(٢) رواه مالك والبخاري .

(٣) رواه ابن ماجة والترمذى .

(٤) رواه أبو يعلى وابن حبان .

(٥) رواه الطبرانى .

ـ وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسـول الله ﷺ : " **إن الله عز وجل ليقول للملائكة : انطلقوا إلى عبدي فصبوا عليه البلاء صبـا فيحمد الله فيرجعون فيقولون : يا ربنا صببنا عليه البـلاء صبـا كمـا أمرتنا فيقول : ارجعوا فإني أحب أن أسمع صوته** " [١] .

ـ وعن أبى سعيد الخدري وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبـي ﷺ قال : " **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب [٢] ولا هم ولا حـزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه** " [٣] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسـول الله ﷺ : " **مـا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة : في نفسه وولده وماله حتى يلقـى الله تعالى وما عليه خطيئة** " [٤] .

ـ وروى عن النبي ﷺ أنه قال : " قال الله تعالى : **إذا وجهت إلى عبـد من عبادي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ، ثم استقبل ذلـك بصـبر جميل ، أستحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً ، أو أنشـر لـه ديواناً** " [٥] .

---

[١] رواه الطبراني .

[٢] النصب : هو التعب ، الوصب : هو المرض .

[٣] متفق عليه .

[٤] رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الحاكم وأحمد .

[٥] أخرجه ابن عدي في الكامل والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بن مالك وسنده ضعيف .

الآثار الواردة عن الصحابة

ومن بعدهم في فضيلة الصبر

ـ قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس بار الجسم ، ثم رفع صوته فقال : ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له .

ـ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : وجدنا خير عيشنا بالصبر .

ـ وقال عمر بن عبد العزيز : ما أنعم الله على عبدٍ نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه .

ـ وقال الحسن : الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده .

ـ وقال سليمان بن القاسم : كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر ، قال الله تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [1] .

ـ قال : كالماء المنهمر .

ـ قال سفيان بن عيينة : يحتاج المؤمن إلى الصبر كما يحتاج إلى الطعام والشراب ! وقال لم يُعط العباد أفضل من الصبر به دخلوا الجنة .

ـ وقال الحسن : ما جرعتين أحب إلى الله من جرعة مصيبة موجعة محزنة ردها صاحبها بحسن عزاء وصبر ، وجرعة غيظ ردها بحلم .

ـ وعن محمد بن سوقة قال : كان يقال : انتظار الفرج بالصبر عبادة .

---

[1] سورة الزمر : آية : ١٠ .

ـ وقال حسان بن أبى جبلة في قوله تعالى : ﴿ **فصبر جميل** ﴾ [1] قال لا شكوى فيه ، وقال مجاهد : ﴿ **فصبر جميل** ﴾ في غير جزع . وقال عمرو بن قيس : ﴿ **فصبر جميل** ﴾ قال : الرضا بالمصيبة والتسليم .

ـ وقال همام عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ **وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** ﴾ [2]. قال : كظم على حزن فلم يقل إلا خيراً .

ـ وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل وقت ينظر إليها وفيها ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ [3] .

ـ وقال ابن أبى الدنيا حدثني الحسين بن عبد العزيز الحروزي ، قد مات ابن لي نفيس فقلت لأمه : اتق الله واحتسبيه واصبري ، فقالت : مصيبتي أعظم من أن أفسدها بالجزع .

ـ وقال ابن أبى الدنيا حدثني محمد بن جعفر بن مهران قال : قالت امرأة من قريش :

أما والذي لا خلد إلا لوجهه ∴ ومن ليس في العز المنيع له كفو

لئن كان بدء الصبر مراً مذاقه ∴ لقد يجنى من مغبته الثمر الحلو

ـ ويقال إن امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها ، فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع ؟ فقالت : إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

ـ وقدم عروة بن الزبيرعلى الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد وكان من أحسن الناس وجهاً ، فدخل يوماً على الوليد في ثياب وشي وله غديرتان وهو يضرب بيده فقال الوليد : هكذا تكون فتيان قريش ، فعانه

---

[1] سورة يوسف : آية : ١٨ : ٨٣ .

[2] سورة يوسف : آية : ٨٤ .

[3] سورة الطور : آية : ٤٨ .

فخرج من عنده متوسناً فوقع في اصطبل الدواب فلم تزل الدواب تطأه بأرجلها حتى مات ثم إن الأكلة وقعت في رجل عروة فبعث إليه الوليد الأطباء فقالوا إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسد فتهلك فعزم على قطعها ، فنشروها بالمنشار فلما صار المنشار إلى القصة وضع رأسه على الوسادة ساعة فغشي عليه ثم أفاق والعرق يتحدر على وجهه وهو يهلل ويكبر فأخذها وجعل يقبلها في يده ثم قال : أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام ، ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يرضى الله ، ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت في قطيفة ، ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين ، فلما قدم من عند الوليد المدينة تلقاه أهل بيته وأصدقاؤه يعزونه فجعل يقول : ﴿ **لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا** ﴾ [1] .

ـ وقال رضى الله عنه : اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت ، وإن كنت أخذت فقد أبقيت أخذت عضواً وأبقيت أعضاء وأخذت ابناً وأبقيت أبناء .

ـ وقال المدائني : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلداً أنضر منها ولا أحسن وجهاً منها ، فقلت : تالله إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور ، فقالت كلا والله إني لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك : كان لي زوج ، وكان لي منه ابنان ، فذبح أبوهما شاة في يوم الأضحى ، والصبيان يلعبان فقال الأكبر للأصغر : أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال : نعم فذبحه ، فلما نظر إلى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب ، فخرج أبوه في طلبه فتاه أبوه فمات عطشاً ، فأفردني الدهر ، فقلت لها : وكيف أنت والصبر ؟ فقالت : لو دام لي لدمت له ولكنه كان جرحاً فاندمل .

---

[1] سورة الكهف : آية : ٦٢ .

ـ **أولاً** : من آداب الصبر استعماله في أول صدمة ، لقول رسول الله ﷺ : " **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** " [1] لأن مفاجآت المصيبة لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمها ، فيصاب الإنسان بالحزن الشديد وذهول العقل بما دهمه ، فيتمكن الشيطان منه ، فإن الشيطان لعنه الله يتمكن من بنى آدم عند ذهول عقولهم ، إما بسكر " أي بشرب الخمور والمسكرات " وعند المصيبة ، فيجعله يأتي بأفعال تضاد الصبر وتبطله ليحبط أجره ، ويغضب ربه ، أما إذا صبر واحتسب للصدمة الأولى انكسر حدها وضعف قوتها ، وأرضى ربه ، وأخزى شيطانه ، وسيفوز بالأجر العظيم والمنزلة العالية من الله تبارك وتعالى .

ـ **ثانياً** : من آداب الصبر الاسترجاع عند المصيبة ، أي قول " إنا لله وإنا إليه راجعون " : فعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون : اللهم آجرني في مصيبتي وآخلف لي خيراً منها : إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيراً منها " قالت : فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ** " [2] .

---

[1] رواه البخاري ومسلم .

[2] رواه مسلم .

ـ وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قـــال رســـول الله ﷺ : " **إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللـــهم عنـــدك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها وأبدلني خيراً منها** " [١] .

ـ ومن أعظم البشارات لم أصيب بمصيبة فذكرها بعد مدة طويلة ، فجدد لها استرجاعاً وصبراً ، ما له عند الله من الأجر كلما ذكرها واسترجع .

ـ قال ﷺ : " **ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة ، فيذكرهـا وإن طال عهدها ـ قال عباد قدم عهدها ـ فيحدث لذلك استرجاعاً إلا جـدد الله له عند ذلك ، فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها** " [٢] يعنى أعطــاه مثل ذلك الأجر الذي أعطاه يوم أصيب به .

ـ وقد جعل الله كلمات الاسترجاع ملجـــأ ومـــلاذاً لـــذوي المصـــائب وعصمة للممتحنين من الشيطان ، وأيضاً ينال العبد بكلمات الاســـترجاع منزلة عالية وثواباً جزيلاً ، ولذلك يجب أن يكون الاسترجاع في كل شي يصيب الإنسان كبير أو صغير حتى إذا انقطع شســـع نعلـــه ، قـــال ﷺ " **ليسترجع أحدكم في شسع نعله** [٣] **إذا انقطع فإنها من المصـــائب** " [٤].

ـ **ثالثاً** : ومن آداب الصبر سكون الجوارح واللسان ، فأما البكاء فجائز .

ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبـادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مســـعود

---

[١] رواه الترمذى وأحمد أبو داود .

[٢] رواه أحمد عن الحسين بن على .

[٣] الشسع : أحد سيور النعل التي تشد إلى زمامها .

[٤] تنبيه الغافلين ص : ١٢٤ .

رضى الله عنهم " فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسـول الله ﷺ بكوا ، فقال : " **ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمـع العيـن ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم** " [١] وأشار إلى لسانه .

ـ **رابعاً** : من حسن الصبر أن لا يظهر أثر المصيبة على المصاب .

ـ قال ثابت البناني : مات عبد الله بن مطرف ، فخرج مطـرف علـى قومه في ثياب حسنة وقد أدهن ، فغضبوا ، وقالوا : يموت عبد الله ، ثـم تخرج في ثياب من هذه مدهناً ؟! قال : أفأستكين لـها ، وعدنـي ربـى تبارك وتعالى ثلاث خصال ، كل خصلة منها أحب إلى من الدنيـا ومـا فيها . قال الله تعالى : ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليـهم صلـوات مـن ربـهم ورحمـة وأولئـك هـم المهتدون** ﴾ [٢] .

ـ وقال مطرف : ما شئ أعطى به في الآخرة قدر كوز من مـاء ، إلا وددت أنه أُخذ مني في الدنيا .

ـ وكان صلة بن أشيم في مغزى له ومعه ابنه ، فقال : أي بنى ! تقـدم فقاتل حتى أحتسبك ، فحمل فقاتل حتى قتل ، ثم تقـدم فقتـل ، فـاجتمع النساء عند أمه معاذة العدوية ، فقالت : مرحباً إن كنتن جئتـن تـهنئنني وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن .

ـ وقد روى أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لما مات دفنه عمـر وسوى عليه ثم استوى قائماً ، فأحاط به الناس ، فقال : رحمك الله يا بني

---

[١] متفق عليه .

[٢] سورة البقرة : آية : ١٥٦ : ١٥٧ .

قد كنت براً بأبيك ، والله مازلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك ولا والله ما كنت قط أشد بك سروراً ، ولا أرجى بحظي من الله تعالى فيك منذ وضعتك في هذا المنزل الذي صيرك الله إليه .

ـ فقد تلمح السلف الثواب فهان عليهم البلاء . ولو أن ملكاً قال لرجل فقير : كلما ضربتك بهذا العود اللطيف ضربة أعطيتك ألف دينار لأحب كثرة الضرب ، لا لأنه لا يؤلم ، ولكن لما يرجو من عاقبته ، وإن أنكاه الضرب ، فكذلك السلف تلمحوا الثواب ، فهان عليهم البلاء .

ـ **خامساً** : إذا كانت المصيبة مما يمكن كتمانها ، فكتمانها من نعم الله عز وجل الخفية ، كما أن كتمانها رأس الصبر .

ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **من أصيب بمصيبة في ماله أو في نفسه فكتمها ولم يشكها إلى الناس كان حقاً على الله أن يغفر له** " [1] .

ـ وقال على رضى الله عنه : من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ، ولا تذكر مصيبتك . وقال شقيق البلخي : من شكا مصيبة به إلى غير الله ، لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً .

ـ ولما نزل في إحدى عيني عطاء الماء مكث عشرين سنة لا يعلم به أهله حتى جاء ابنه يوماً من قبل عينيه فعلم أن الشيخ قد أصيب . وقال مغيرة شكى الأحنف إلي عمه وجع ضرسه فكرر ذلك عليه فقال ما تكرر على لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة فما شكوتها إلى أحد . ويقال ثلاث من كنوز البر : كتمان الصدقة ، وكتمان الوجع ، وكتمان المصيبة .

---

[1] رواه الطبراني .

أقسام الصبر

وأحكامه ومشتقاته

ــ اشتق من الصبر التصبر والاصطبار والمصابرة ، والفرق بين هـــذه الصفات بحسب حال العبد في نفسه وحاله مع غيره .

ــ فإن حبس نفسه ومنعها عن إجابة داعي ما لا يحسن إن كان خلقاً لـــه وملكة سمى " صبراً " ، وإن كان بتكلف وتمرن وتجرع لمرارته ســمى تصبراً ، كما يدل عليه هذا البناء لغة ، فإنه موضوع للتكلف : كـالتحلم والتشجع والتكرم والتحمل ونحوها فإذا تكلفه العبد واستدعاه صار سـجية له ، كما في الحديث عن النبي ﷺ : " **من يتصبر يصبره الله** " [١] .

ــ وأما الاصطبار فهو أبلغ من التصبر لأنه افتعـــال للصـــبر بمنزلـة الاكتساب ، فالتصبر مبدأ الاصطبار ، كما أن التكسب مقدمة الاكتســـاب فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطباراً .

ــ والمصابرة هي مقاومة الخصم في ميدان الصبر لأنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة . والله تعالى يقول ﴿ **يـــا أيـــها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ [٢] . فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر مع نفسه ، والمصابرة وهى حاله فـــي الصبر مع خصمه ، والمرابطة وهى الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة ، فقد يصبر العبد ولا يصابر ، وقد يصابر ولا يرابط وقـــد

---

[١] متفق عليه .

[٢] سورة آل عمران : آية : ٢٠٠ .

يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى وأن الفلاح موقوف عليها فقال تعالى : ﴿ **واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ .

ـ وينقسم الصبر إلى أقسام ثلاثة :

ـ **صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها .**

ـ **وصبر على المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها .**

ـ **وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها .**

ـ كما تنقسم أحكام الصبر إلى خمسة أقسام :

ـ **صبر واجب** : وهو الصبر على المحرمات ، وعلى أداء الواجبات والصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها .

ـ **وصبر مندوب** : وهو الصبر على المكروهات ، وعلى المستحبات وعلى مقابلة الجاني بمثل فعله .

ـ **وصبر محظور** : كالصبر عن الطعام والشراب حتى يموت وكذلك الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزيرعند الاضطرار حرام إذا خاف بتركه الموت ، ومن الصبر المحظور صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حية أو حريق أو كافر يريد قتله .

ـ **وصبر مكروه** : كأن يصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه ، وصبره على المكروه ، وصبره عن فعل المستحب .

ـ **وصبر مباح** : وهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين وللإنسان الخيار بين فعله وتركه أو الصبر عليه .

بيان أن الإنسان لا يستغنى

عن الصبر في حال من الأحوال

ـ اعلم أن العبد لا يستغني عن الصبر في كل حال من الأحوال ، وذلك أن جميع ما يلقى العبد في الدنيا لا يخلو من نوعين : أحدهما يوافق هواه ومراده ، والآخر يخالف هواه ، وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما .

ـ **أما النوع الأول الموافق لهواه** : فكالصحة ، والسلامة والجاه والمال وكثرة العشيرة ، والأتباع ، وجميع ملاذ الدنيا ، فالعبد محتاج إلى الصبر في جميع هذه الأمور ، فلا يركن إليها ، ولا يغتر بها ، ولا ينهمك في التلذذ بها ، ويراعى حق الله تعالى في ماله بالإنفاق ، وفي بدنه بالمعونة للحق .

ـ ومتى لم يضبط نفسه عن الانهماك في الملاذ والركون إليها ، أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان ، حتى قال بعض العارفين : المؤمن يصبر على البلاء ، ولا يصبر على العافية إلا صديق .

ـ وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر ، ولذلك حذر الله سبحانه وتعالى عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد فقال تعالى : ﴿ **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ [١] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله** ﴾ [٢] .

---

[١] سورة الأنفال : آية : ٢٨ .

[٢] سورة المنافقون : آية : ٩ .

ـ وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم** ﴾ [١] .

ـ وسأل رجل ابن عباس عن هذه الآية : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم** ﴾ قال : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة فأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله ﷺ ، فلما أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم** ﴾ .

ـ فما أكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده ، فقد قال ﷺ : " **الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة** " [٢] ، قوله : مبخلة ، إذا أراد الإنسان أن ينفق في سبيل الله ذكره الشيطان بأولاده فيقول : أولادي أحق بالمال ، أبقيه لهم يحتاجونه من بعدي فيبخل عن الإنفاق في سبيل الله . وقوله : مجبنة أي إذا أراد الرجل أن يجاهد في سبيل الله يأتيه الشيطان فيقول تقتل وتموت فيصبح الأولاد ضياعاً يتامى ، فيقعد عن الخروج للجهاد . وقوله : مجهلة أي يشغل الأب عن طلب العلم والسعي في تحصيله وحضور مجالسه وقراءة كتبه . وقوله : محزنة أي إذا مرض حزن عليه وإذا طلب الولد شيئاً لا يقدر عليه الأب حزن الأب وإذا كبر وعق أباه فذلك الحزن الدائم والهم اللازم .

---

[١] سورة التغابن : آية : ١٤ .

[٢] رواه الطبراني في الكبير .

ـ فالانشغال بالزوجة والأولاد إذا كان مقدماًعلى طاعة الله ورسوله فإنه مستقبح مذموم صاحبه ، أما إن كان حب ذلك على وجهه الشرعي المعين على طاعة الله فهو محمود ممدوح صاحبه .

ـ قال الإمام الغزالي : فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ، ألا يركن إليها ، ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب ، وألا يرسل نفسه في الفرح بها ، ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب ، وأن يرعى حقوق الله في ماله بالإنفاق ، وفي بدنه ببذل المعونه ، وفي لسانه بالصدق ، وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه .

ـ وقال بعض العارفين : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء

ـ وقال الإمام الغزالي : إنما كان الصبر على السراء شديداً لأنه مقرون بالقدرة ، والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه عند حضور الطعام اللذيذ ، فلهذا عظمت فتنة السراء .

ـ **أما النوع الثاني المخالف للهوى فهو ثلاثة أقسام :**

ـ **القسم الأول : الطاعات :** فيحتاج العبد إلى الصبر عليها ، لأن النفس بطبعها تنفر عن كثير من العبودية .

ـ أما في الصلاة فلما في طبعها من الكسل وإيثار الراحة لا سيما إذا اتفق مع ذلك قسوة القلب ورين الذنب والميل إلى الشهوات ومخالطة أهل الغفلة فلا يكاد العبد مع هذه الأمور وغيرها أن يفعلها ، وإن فعلها مع ذلك كان متكلفاً غائب القلب ذاهلاً عنها طالباً لفراقها . وأما الزكاة فلما في طبع النفس من الشح والبخل ، وكذلك الحج والجهاد للأمرين جميعاً

ويحتاج العبد ها هنا إلى الصبر في ثلاثة أحوال :

ـ أحدها : حال قبل العبادة ، وذلك بتصحيح النية والإخلاص وتجنب دواعي الرياء .

ـ الحالة الثانية : حال في نفس العبادة ، وذلك بأن لا يغفل عن الله تعالى في أثناء العبادة ، ولا يتكاسل عن تحقيق الآداب والسنن ، فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ من العمل .

ـ الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل وذلك من وجوه .

ـ أحدها : أن يصبر نفسه عن الإتيان بما يبطل عمله قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** ﴾ [1] . فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى أبطلها .

ـ الثاني : أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر والتعظم بها فإن هذا أضر عليه من كثير من المعاصي الظاهرة .

ـ الثالث : أن يصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية فعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات ، فإن العبد يعمل العمل سراً بينه وبين الله سبحانه وتعالى فيكتب في ديوان السر ، فإن تحدث به نقل إلى ديوان العلانية ، فلا يظن أن بساط الصبر قد انطوى بالفراغ من العمل .

ـ **القسم الثاني : الصبر عن المعاصي** : وما أحوج العبد إلى ذلك ، ثم إن كان الفعل مما تيسر فعله ، كمعاصي اللسان من الغيبة ، والكذب والمراء ونحوه ، كان الصبر عليه أثقل ، فترى الإنسان إذا لبس حريراً

---

[1] سورة البقرة : آية : ٢٦٤ .

استنكر ذلك ، ويغتاب أكثر نهاره ، فلا يستنكر ذلك ، ومن لم يملك لسانه في المحاورات ، ولم يقدر على الصبر ، لم ينجه إلا العزلة .

ــ عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **الصبر ثلاث : فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها ، كتب الله له ثلاثمائة درجة ، بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين** " [١] .

ــ **القسم الثالث : ما لا يدخل تحت الاختيار** : كالمصائب ، مثل موت الأحبة ، وهلاك الأموال ، وعمى العين ، وزوال الصحة ، وسائر أنواع البلاء ، فالصبر على ذلك من أعلى المقامات ، لأن سنده اليقين .

ــ وقد قال ﷺ : " **من يرد الله به خيراً يصب منه** " [٢] .

ــ وقريب من هذا القسم ، الصبر على أذى الناس ، كالذي يؤذى بقول أو فعل أو جناية على نفسه أو ماله ، والصبر على ذلك من أعلى المراتب . فقد قال الله تعالى ﴿ **وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾ [٣] وقال تعالى ﴿ **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ [٤]

---

[١] رواه ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ في الثواب .

[٢] رواه البخاري وأحمد .

[٣] سورة آل عمران : آية : ١٨٦ .

[٤] سورة النحل : آية : ١٣٦ .

ـ واعلم أن في كل فقر ، ومرض ، وخوف ، وبلاء في الدنيا ، خمسة أشياء ينبغي أن يفرح العاقل بها ، ويشكر عليها :

ـ **أحدها** : أن كل مصيبة ومرض يتصور أن يكون عليه أكثر منها لأن مقدورات الله تعالى لا تتناهى ، فلو أضعفها الله عز وجل على العبد فما كان يمنعه ؟ فليشكر إذ لم يكن أعظم . قال رسول الله ﷺ : " **إن لله تعالى في أثناء كل محنة منحة** " [1] .

ـ **الثاني** : أن المصيبة لم تكن في الدين . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني وإذ لم يكن أعظم ، وإذ لم أحرم الرضا به ، وإذ أُرجو الثواب عليه.

ـ قال رجل لسهل بن عبد الله : دخل اللص بيتي وأخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى ، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد إيمانك ماذا كنت تصنع .

ـ والمقصود أن المصائب تتفاوت ، فأعظمها المصيبة في الدين ، ثم بعد مصيبة الدين ، المصيبة في النفس ، ثم في المال ، أما المال فيخلفه الله تعالى ، وهو فداء الأنفس ، والنفس فداء الدين ، والدين لا فداء له .

ـ **الثالث** : أن ما من عقوبة إلا كان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها فتخف ، ومصيبة الآخرة دائمة ، وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها ، ومن عجلت عقوبته في الدنيا لم يعاقب ثانياً .

ـ فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن ، حتى الهم يهمه**

---

[1] انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ص : ٣٥١ .

إلا كفر به من سيئاته " وفي رواية أخرى : " **ما من مؤمن يشاك بشوكة في الدنيا يحتسبها إلا قص بها من خطاياه يوم القيامة** " [١] .

ـ **الرابع** : أن هذه المصيبة كانت مكتوبة عليه في أم الكتب ، ولم يكن بد من وصولها إليه ، فقد وصلت واستراح منها فهي نعمة .

ـ **الخامس** : أن ثوبها أكثر منها : فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة كما يكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي ، فإنه لو خلى واللعب لكان يمنعه ذلك من العلم والأدب فكان يخسر طول عمره وكذلك المال والأهل والأقارب والأعضاء ، قد تكون سبباً لهلاكه فالملحدون غداً يتمنون أن لو كانوا مجانين وصبياناً ، ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى ، فما من شئ من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا ويتصور أن يكون له في ذلك خيرة دينية ، فعليه أن يحسن الظن بالله عز وجل ، ويقدر الخيرة فيما أصابه ويشكر الله تعالى عليه ، فإن حكمة الله تعالى واسعة ، وهو أعلم بمصالح العباد منهم ، وغداً يشكره العباد على البلاء إذا رأوا ثوابه ، كما يشكر الصبي بعد البلوغ أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه ، إذ رأى ثمرة ما استفاد من التأديب .

والبلاء تأديب من الله تعالى ، ولطفه بعباده أتم وأوفى من عناية الأباء بالأولاد . قال رسول الله ﷺ : " **والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له** " [٢] .

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا .

[٢] رواه مسلم وأحمد من حديث صهيب رضي الله عنه .

يبتلى المؤمن

على حسب دينه

ـ قال تعالى : ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم** ﴾ [1] . وقال تعالى : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ [2] .

ـ وعن مصعب بن سعد عن أبيه رضى الله عنهما قال : قلت : يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال : " **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة** " [3] .

ـ وعن العلاء بن المسيب عن أبيه عن سعد قال : سئل رسول الله ﷺ أي الناس أشد بلاء ؟ قال : " **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الناس على قدر دينهم ، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى في الناس ما عليه خطيئة** " [4] .

---

[1] سورة محمد : آية : ٣١ .

[2] سورة ال عمران : اية : ١٤٢ .

[3] رواه ابن ماجة وابن أبى الدنيا والترمذى .

[4] رواه ابن حبان .

ـ وذكر عن وهب بن منبه أنه قال : كتبت من كتاب رجل من الحواريين ، إذا سلك بك سبيل البلاء فقر عيناً فإنه يسلك بك سبيل الأنبياء والصالحين ، وإذا سلك بك سبيل الرخاء فابك على نفسك فقد خولف بك عن سبيلهم .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **مثل المؤمن كمثل الزرع ، لا تزال الرياح تفيئوه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز ، لا تهتز حتى تستحصد** " (١) .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " **إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط** " (٢) .

ـ وعن بريدة الأسلمي رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **ما أصاب رجلاً من المسلمين نكبة فما فوقها حتى الشوكة ، إلا لإحدى خصلتين ، إما ليغفر الله له من الذنوب ذنباً لم يكن ليغفره له إلا بمثل ذلك ، أو يبلغ به من الكرامة كرامة لم يكن ليبلغها إلا بمثل ذلك** " (٣) .

ـ وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها**

---

(١) رواه مسلم والترمذى .

(٢) رواه ابن ماجة والترمذى .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا .

بعمل ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ، ثم صبر على ذلـــك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل " [١] .

ـ لهذا كان أمر المؤمن كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن .

ـ فعن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **عجباً لأمــر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمــن ، إن أصابتــه سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له** " [٢].

ـ وذكر في الخبر أن مؤمناً وكافراً في الزمن الأول انطلقـــا يصيـــدان السمك فأخذ الكافر يذكر آلهته ، فما رفع شبكته حتى أخذ ســـمكاً كثـــيراً وجعل المؤمن يذكر الله فلا يجئ شئ ثم أصاب ســـمكة عنـــد الغـــروب واضطربت فوقعت في الماء ، فرجع المؤمن وليس معه شــــئ ورجـــع الكافر وقد امتلأت شبكته ، فأسف ملك المؤمن الموكل به ، فلما صعــــد إلى السماء أراه الله مسكن المؤمن في الجنة فقال : والله ما يضـــره مـــا أصابه بعد أن يصير إلى هذا ، وأراه مسكن الكافر في النار فقـــال : والله ما يغني عنه ما أصاب من الدنيا بعد أن يصير إلى هذا .

ـ وعن مسلم بن يسار قال : قدمت البحرين فأضافتني امرأة لها بنـــون ورقيق ومال ويسار فكنت أراها محزونة ، فلما خرجت من عندها قلـــت لها ألك حاجة ؟ قالت نعم ، إن أنت قدمت بلدتنا هـــذه أن تـــنزل علـــي فغبت عنها كذا وكذا سنة ثم أتيتها فلم أر ببابها إنسياً ، فاستأذنت عليـــها فإذا هي ضاحكة مسرورة ، قلت لها ما شأنك ؟ قالت إنك لما غبت عنـــا

---

[١] رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني .

[٢] رواه مسلم .

لم نرسل في البحر شيئاً إلا غرق ولا في البر شيئاً إلا عطب وذهب الرقيق ومات البنون ، فقلت لها يرحمك الله ، رأيتك محزونة في ذلك اليوم ومسرورة في هذا اليوم ؟ فقالت نعم إني لما كنت فيه من سيئة الدنيا خشيت أن يكون الله قد عجل حسناتي في الدنيا ، فلما ذهب مالي وولدي ورقيقي رجوت أن يكون الله قد ادخر لي عنده خيراً ففرحت .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة : في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة** " [1] .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إذا أراد الله بعبد خيراً أو أراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا وإذا دعاه قالت الملائكة يارب صوت معروف ، فإذا دعاه الثانية فقال يارب قال الله تعالى : لبيك وسعديك لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو شر وادخرت عندي لك ما هو أفضل منه ، فإذا كان يوم القيامة جئ بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم الميزان ولا ينشر لهم الديوان ويصب عليهم الأجر صبا كما يصب عليهم البلاء فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون مما يذهب به أهل البلاء من الثواب ، فذلك قوله تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب [2] ﴾** [3] .

---

[1] رواه الترمذى والحاكم .   [2] سورة الزمر : آية : ١٠ .

[3] رواه ابن منجويه في تفسيره .

الصبر على الأمراض

ـ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ وهو موعك ، فقلت : يا رسول الله ، إنك توعك وعكاً شديداً قال : " **أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم** " قلت : ذلك أن لك أجرين ؟ قال : " **أجل ذلك كذلك ، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها ، إلا كفر الله بها سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها** " [١] .

ـ وعن عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : " **إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك والحمى كحديدة تدخل النار ، فيذهب خبثها ويبقى طيبها** " [٢] .

ـ وروى عن بشير بن عبد الله بن أبى أيوب الأنصاري عن أبيه عن جده قال : عاد رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار فأكب عليه فسأله فقال : يا نبي الله ، ما غمضت منذ سبع ولا أحد يحضرني ، فقال رسول الله ﷺ : " **أي أخي أصبر ، أي أخي أصبر تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها** " **قال : وقال رسول الله ﷺ : " ساعات الأمراض يذهبن ساعات الخطايا** " [٣] .

---

[١] متفق عليه .

[٢] رواه الحاكم .

[٣] رواه ابن أبى الدنيا .

ـ وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبـــي ﷺ قـــال : " **إذا اشتكى المؤمن أخلصه الله من الذنـــوب كمـــا يخلــص الكــير خبــث الحديد** " [١] .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ شـــجرة فهزها ، حتى تساقط ورقها ما شاء الله أن يتساقط ، ثم قال : " **للمصيبات والأوجاع أسرع في ذنوب ابن آدم مني في هذه الشجرة** " [٢] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـــول " **إن الله ليبتلى عبده بالسقم حتى يكفر ذلك عنه كل ذنب** " [٣] .

ـ وعن معاذ بـــن عبـــد الله بـــن حبيـــب عـــن رســـول الله ﷺ أنـــه قال لأصحابه : " **أتحبون أن لا تمرضوا** " ؟ **قالوا : والله إنـــا لنحـــب العافية ، فقال رسول الله** ﷺ : " **وما خير أحدكم أن لا يذكره الله** " [٤].

ـ وعن يحيى بن سعيد أن رجلاً جاءه الموت في زمن رســـول الله ﷺ فقال رجل : هنيئاً له ، مـــات ولـــم يبتـــل بمـــرض !! فقـــال رســـول الله ﷺ : " **ويحك ، ما يدريك لو أن الله ابتـــلاه بمـــرض يكفـــر عنـــه سيئاته** " [٥] .

---

[١] رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا .

[٢] رواه ابن أبى الدنيا وأبو يعلى .

[٣] رواه الحاكم .

[٤] رواه ابن أبى الدنيا .

[٥] رواه مالك .

ـ وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " **ما من عبد يصرع صرعة من مرض إلا بعثه الله منها طاهراً** " [١] .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " **إذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** " [٢] .

ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " **من وعك ليلة فصبر ورضي بها عن الله ، خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه** " [٣] .

ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إن الصداع والمليلة** [٤] **لا تزال بالمؤمن وإن ذنبه مثل أحد فما تدعه وعليه من ذلك مثقال حبة من خردل** " [٥] .

ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " **إن الحمى تحط الخطايا كما تحط الشجرة ورقها** " [٦] .

ـ وعن الحسن البصري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **إن الله ليكفر عن المؤمن خطاياه كلها بحمى ليلة** " [٧] .

---

[١] رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى .

[٢] رواه ابن أبى الدنيا .

[٣] رواه ابن أبى الدنيا .

[٤] والمليلة : هي الحمى تكون في العظم .

[٥] رواه أحمد والطبرانى .

[٦] ذكره ابن أبى الدنيا .

[٧] رواه ابن أبي الدنيا .

ـ قال ابن أبي الدنيا قال المبارك : هذا من الحديث الجيد قال وكانوا يرجون في حمى ليلة كفارة ما مضى من الذنوب .

ـ فإذا كان هذا الجزاء العظيم لمن أصيب بالصداع والحمى فما بالك يا أخي بمن أصيب بمرض مزمن أو مرض خطير ، فهؤلاء ليس لهم جزاء إلا الدرجات العلي من الجنة ، فإن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول " **إن الله عز وجل قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ـ يعني عينيه فصبر عوضته منهما الجنة** " [١] .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه تبارك وتعالى قال : " إن الله قال : **يا جبريل ما ثواب عبدي إذا أخذت كريمتيه ـ أي عينيه ـ إلا النظر إلى وجهي والجوار في داري** " قال أنس : فلقد رأيت أصحاب النبي ﷺ يبكون حوله يريدون أن تذهب أبصارهم " [٢] .

ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **عجب للمؤمن وجزعه من السقم ! ولو كان يعلم ماله من السقم أحب أن يكون سقيماً الدهر ، ثم إن رسول الله ﷺ رفع رأسه إلى السماء فضحك ، فقيل : يا رسول الله ، مم رفعت رأسك إلى السماء فضحكت ؟**

---

[١] رواه البخاري .

[٢] رواه الطبراني .

فقال : عجبت من ملكين كانا يلتمسان عبداً في مصلى كان يصلى فيه فلم يجداه فرجعا فقالا : يا ربنا عبدك فلان كنا نكتب له في يومه وليلته عمله الذي كان يعمل ، فوجدناه حبسته في حبالك ، قال الله تبارك وتعالى اكتبوا لعبدي عمله الذي كان يعمله في يومه وليلته ، ولا تنقصوا منه شيئاً وعلى أجره ما حبسته وله أجر ما كان يعمل " [١] .

ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إذا مرض العبد أو سافر ، كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً** " [٢] .

ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إذا ابتلى الله عز وجل العبد المسلم ببلاء في جسده قال الله عز وجل للملك اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل ، وإن شفاه غسله وطهره ، وإن قبضه غفر له ورحمه** " [٣] .

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما من عبد يمرض مرضاً إلا أمر الله حافظيه : أن ما عمل من سيئة فلا يكتبها وما عمل من حسنة يكتبها عشر حسنات ، وأن يكتب له من العمل الصالح كما كان يعمل وهو صحيح وإن لم يعمل** " [٤] .

ـ وعن عطاء بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **إذا**

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والبزار .

[٢] رواه البخاري وأبو داود .

[٣] رواه أحمد .

[٤] رواه أبو يعلى وابن أبي الدنيا .

مرض العبد بعث الله إليه ملكين ، فقال : انظروا ما يقول لعواده ، فإن هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه ، رفعا ذلك إلى الله ، وهو أعلم فيقول : لعبدي إن توفيته أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، وأن أكفر عنه سيئاته " [1] .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **مثل المؤمن إذا برأ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها "** [2] .

ـ وقال معروف الكرخى : إن الله ليبتلى عبده المؤمن بالأسقام والأوجاع فيشكو إلى أصحابه فيقول الله تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي ما ابتليتك بهذه الأوجاع والأسقام إلا لأغسلك من الذنوب فلا تشكني .

ـ وعاد رجل من المهاجرين مريضاً فقال : إن للمريض أربعاً : يرفع عنه القلم ، ويكتب له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته ، ويتبع المرض كل خطيئة من مفصل من مفاصله فيستخرجها ، فإن عاش عاش مغفوراً له ، وإن مات مات مغفوراً له ، فقال المريض : اللهم لا أزال مضطجعاً .

ـ ومن مراسيل يحيى بن كثير قال : فقد رسول الله ﷺ سلمان فسأل عنه فأخبر أنه عليل فأتاه يعوده فقال : " **شفى الله سقمك وعظم أجرك**

---

(١) رواه مالك وابن أبى الدنيا .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا .

وغفر ذنبك ورزقك العافية في دينك وجسمك إلى منتهى أجلك ، إن لـك من وجعك خلالاً ثلاثاً : أما الأولى فتذكره من ربك يذكرك بها وأما الثانية فتمحيص لما سلف من ذنوبك ، وأما الثالثة فادع بما شئت فإن المبتلى مجاب الدعوى " [١] .

ــ ولا تنسى ذكر الله يا أخي في حال المرض :

ــ فعن أبى سعيد الخدري وأبى هريرة رضى الله عنهما : أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : " **من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه ، فقال : لا إله إلا أنا وأنا أكبر ، وإذا قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : يقول : لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ، وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، قال لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد وإذا قال : لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي ، وكان يقول من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار** " [٢] .

ــ وعن سعد بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **في قوله تعالى : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ــ أيما مسلم دعا بها أربعين مرة فمات من مرضه ذلك أعطى أجر شهيد ، وإن برأ برأ ، وقد غفر له جميع ذنوبه** " [٣] .

---

[١] انظر عدة الصابرين ص : ١٤٧ .

[٢] رواه الترمذى وقال حديث حسن .

[٣] رواه الحاكم في المستدرك .

الصبر على موت الأولاد

والأقارب والأحباب

ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل : " **ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه [١] من أهل الدنيا ثم احتسبه [٢] إلا الجنة** " [٣] .

ــ وعن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم فيقول : فماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع [٤] فيقول الله تعالى ابنو لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد** " [٥] .

ــ وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قيل له : إنك امرؤ ما يبقى لك ولد فقال : الحمد لله الذي يأخذهم من دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء .

ــ وعن أبى حسان ــ وهو خالد بن علان ــ قال قلت لأبى هريرة رضى الله عنه : إنه قد مات لي ابنان ، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث يطيب أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم ، قال : " **صغاركم**

---

[١] صفيه : حبيبه سواء كان ولد أو زوج أو غيره من الأحباب .

[٢] احتسبه : أي ادخره ورجا ثواب موته والصبر عليه من الله تعالى .

[٣] رواه البخاري .

[٤] استرجع : أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون .

[٥] رواه الترمذى وقال حديث حسن .

دعاميص [١] الجنة ، يتلقى أحدهم أباه ، أو قال أبويه ، فيـأخذ بثوبـه أو قال بيده ، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا ، فلا يتناهى ، أو قال ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة " [٢] .

ـ وعن معاوية بن قرة بن إياس عن أبية رضى الله عنه " أن النبـي ﷺ فقد بعض أصحابه فسأل عنه ، فقالوا : يا رسول الله : بنيه الذي رأيتـه هلك : فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيه فأخبره أنه هلك ، فعزاه عليه ثـم قال **يا فلان أيما كان أحب إليك : أن تمتع به عمرك أو لا تأتى غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك ، قال : يا نبـي الله بل يسبقني إلى الجنة فيفتحها لي لهو أحب إلى ، قال : فذلك لك** " [٣] .

ـ وعن محمد بن خلف قال : كان لإبراهيم الحربي ابن كان له إحـدى عشرة سنة ، حفظ القرآن ولقنه من الفقه جانباً كبـيراً ، قـال : فمـات فجئت أعزيه فقال : كنت أشتهي موت ابني هذا ، قال : قلت له : يا أبـا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ، ولقنته الحديث والفقه ؟ قال : نعم ، رأيت في منامي كأن القيامة قـد قـامت ، وكـأن صبياناً بأيديهم قلال فيها ماء ، يستقبلون الناس فيسقونهم ، وكان اليـوم يوماً حاراً شديداً حره قال : فقلت لأحدهم : اسقني من هذا الماء ، قـال فنظر إلي ، وقال : ليس أنت أبي ، قلت : فأي شئ أنتم ؟ قال : فقال لـي نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلفنا آباؤنا ، فنستقبلهم فنسـقيهم الماء ، قال : فلهذا تمنيت موته .

---

[١] دعاميص الجنة : أي صغار أهل الجنة .

[٢] رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة .

[٣] رواه النسائي .

ـ أما عن ثواب السقط ، فعن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته** " [١] .

ـ وفي موطأ مالك عن القاسم بن محمد قال " هلكت امرأة لي فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني فيها ، فقال إنه قد كان في بنى إسرائيل رجل فقيه عابد عالم مجتهد ، وكانت له امرأة وكان بها معجباً ، فماتت فوجد عليها وجداً شديداً حتى خلى في بيت وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس فلم يكن يدخل عليه أحد ، ثم إن امرأة من بني إسرائيل سمعت به فجاءته فقالت إن لي إليه حاجة أستفتيه فيها ليس يجزيني إلا أن أشافهه بها ، فذهب الناس ولزمت الباب ، فأخبر فأذن لها فقالت أستفتيك في أمر ، قال وما هو ؟ قالت إني استعرت من جارة حلياً فكنت ألبسه وأعيره زماناً ، ثم إنها أرسلت إلى فيه أفأرده إليها ؟ قال نعم قالت والله إنه مكث عندي زماناً ، فقال ذلك أحق لردك إياه فقالت له يرحمك الله أفتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك وهو أحق به منك ، فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها .

ـ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " **لا يرضى الله لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض واحتسبه بثواب دون الجنة** " [٢] .

---

[١] رواه ابن ماجة عن معاذ وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

[٢] رواه أبو داود .

الصبر على

الفقر والجوع

ـ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال " **يجتمعون يوم القيامة ، فيقال : أين فقراء هذه الأمة ؟ قال : فيقال لهم ماذا عملتم ؟ فيقولون : ربنا ابتلينا فصبرنا ، ووليت السلطان والأموال غيرنا ، فيقول الله جل وعلا : صدقتم . قال : فيدخلون الجنة قبل الناس وتبقى شدة الحساب على ذوى الأموال والسلطان ، قالوا : فأين المؤمنون يومئذ ؟ قال : توضع لهم كراسي من نور وتظل عليهم الغمائم يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار** " [١] .

ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **التقى مؤمنان على باب الجنة ، مؤمن غنى ومؤمن فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ما شاء الله أن يحبس ، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال : يا أخي ، ماذا حبسك ؟ والله لقد حبست حتى خفت عليك ، فيقول : يا أخي إني حبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً ، ما وصلت إليك حتى سال منى من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض النبات لصدرت عنه رواء** " [٢] .

---

[١] رواه الطبراني وابن حبان .

[٢] رواه أحمد .

ــ واعلم أخي المسلم أن للفقير خمس كرامات :

ــ إحداها : أن ثواب عمله أكثر من ثواب عمل الغني في الصدقة وغير ذلك . فعن صفوان بن عيسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " سبق **درهم مائة ألف درهم ، قالوا يا رسول الله كيف سبق درهم مائة ألف درهم ؟ قال** " **رجل كان له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به وآخر له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها** " [1] .

ــ والثانية : أنه إذا اشتهى شيئاً ولم يجده يكتب له الأجر . والثالثة : أنهم سابقون إلى الجنة . والرابعة : أن حسابهم في الآخرة أقل . والخامسة أن ندامتهم أقل لأن الأغنياء يتمنون في الآخرة أن لو كانوا فقراء ولا يتمنى الفقير أن لو كان غنياً .

ــ قال الضحاك : من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهيه فصبر فاحتسب كان خيراً له من مائة ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى .

ــ فينبغي على الفقير أن يعرف منة الله عليه ، ويعلم أنه قد صرف عنه الدنيا لكرامته عليه وأكرمه بما أكرم به الأنبياء والأولياء عليهم الصلاة والسلام ، روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : " **إن أحب الخلق إلى الله الفقراء ، لأنه كان أحب الخلق إلى الله الأنبياء فابتلاهم بالفقر** " [2] . فعلى الفقير أن يحمد الله تعالى ولا يجزع ويصبر على ما يصيبه من ضيق العيش ، ويعلم أن وعد الله له في

---

(1) رواه النسائي .

(2) تنبيه الغافلين ص : ١١١ .

الآخرة خير له مما صرف عنه في الدنيا ، ولو لم يكن للفقر فضيلة سوى أنه كان حرفة رسول الله ﷺ واقتداء به لكان عظيماً ، فعن أبى أمامة عن النبي ﷺ قال : " **عرض علي ربى ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت : لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ــ أو قال ثلاثاً أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك ، وحمدتك** " [1] .

ــ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " بينما رسول الله ﷺ جالس وجبريل عليه الصلاة السلام معه قال جبريل هذا ملك قد نزل من السماء لم ينزل قط ، استأذن ربه في زيارتك ، فلم يمكث إلا قليلاً حتى جاء الملك فقال السلام عليك يا رسول الله ، فقال وعليك السلام ، قال الملك فإن الله تعالى يخيرك أن يعطيك خزائن كل شئ ومفاتيح كل شئ لم يعطه أحداً قبلك ولا يعطيه أحداً بعدك من غير أن ينقصك مما ادخر لك شيئاً أو يجمعها لك يوم القيامة ؟ فقال النبي ﷺ بل يجمعها إلي يوم القيامة " [2] .

ــ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : **كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاوياً ــ أي جائعاً ــ لا يجدون عشاء ، وإنما كان أكثر خبزهم الشعير** " [3] .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) تنبيه الغافلين ص : ١١٢ .

(٣) رواه الترمذى .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : **دخلت على النبي ﷺ وهو يصلى جالساً ، فقلت : يا رسول الله ، أراك تصلى جالساً فما أصابك ؟ قال : " الجوع يا أبا هريرة ، فبكيت ، فقال : " لا تبك يا أبا هريرة فإن شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا "** [١] .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : " **اللهم أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ قال : إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ، يا عائشة لا تردى مسكيناً ولو بشق تمرة يا عائشة ، أحبى المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة** " [٢] .

ـ فينبغي للمسلم أن يحب الفقراء لأن في حب الفقراء حب الرسولﷺ وينبغي أن يبرهم ويتخذ عندهم الأيادي فإنهم قواد الله تعالى يوم القيامة وترجى شفاعتهم . روى عن الحسن رحمه الله تعالى عن النبي ﷺ قال " **يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا ، فيقول جل سلطانه وعظم شأنه وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف وانظر من أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك ، والناس يومئذ قد**

---

(١) أخرجه أبو نعيم والخطيب وابن عساكر .

(٢) رواه الترمذى .

ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك بـــه فيـأخذ بيـده فيدخله الجنة " [1] .

ــ ويقال الفقير طبيب الغني ومطهره ورسوله وحارسه وشفيعه .

ــ وإنما قيل طبيبه لأن الغني إذا مرض يتصدق على الفقراء فيبرأ مـن مرضه . ولهذا قال ﷺ : " **داووا مرضاكم بالصدقة** " **وفي بعد الآثـار باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة** " [2] .

ــ وإنما قيل مطهره لأن الغني إذا تصدق على الفقير يطهر الغني مـن ذنوبه ويطهر ماله . قال تعالى : ﴿ **خذ من أموالـهم صدقـة تطـهرهم وتزكيهم بها** ﴾ [3] .

ــ وعن معاذ رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " **والصدقة تطفـئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار** " [4] .

ــ وقال ﷺ : " **تصدقوا فإن الصدقة فكاككم من النار** " فـإن الصدقـة أخي المسلم تفدى العبد من عذاب الله تعالى ، فإن ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه فتجئ الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه ، ولهذا قال النبـي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد : " **يا معشـر النسـاء تصدقن ولو من حليكن فإنكن أكثر أهل جهنم** " [5] وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار .

---

[1] تبيه الغافلين ص : ١١٠ .

[2] رواه أبو الشيخ في الثواب وابن أبى الدنيا والبيهقى في الشعب عن أنس .

[3] سورة التوبة : آية : ١٠٣ .

[4] رواه الترمذى وابن ماجة وأحمد .

[5] رواه أحمد .

ــ كما أن في الصدقة تطهير للمال قال ﷺ : " **ألا إن البيـــع يحضـــره اللغو والحلف والكذب فشوبوه بالصدقة** " [١] .

ــ وإنما قيل هو رسوله لأن الغني إذا تصدق عن والديه أو عن أحد مـــن أقربائه فيصل ذلك إلى الموتى فصار الفقير رسوله إلى الموتى .

ــ وإنما قيل هو حارسه لأن الغني إذا تصدق فدعا له الفقير تحصن مـال الغني بدعاء الفقير . قال رسول الله ﷺ : " **حصنوا أموالكم بالزكاة** " .

ــ وإنما قيل أنه شفيعه لما روى عن الحسن عن النبي ﷺ أنـــه قـــال " **أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة : قالوا يـا رسول الله وما دولتهم ؟ قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا مــــن أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً فخذوا بيده ثم امضوا بـــه إلى الجنة** " [٢] .

ــ ولو لم يكن من الصدقة فضيلة سوى دعاء المساكين لكـــان الواجـــب على العاقل أن يرغب فيها ، فكيف وفيها رضا الله تعالى ، ودفع للبـــلاء والأمراض ، وبركة في المال ، وسعة في الرزق ، كمـــا أنـــها تطفـــئ الخطيئة ، وترغم الشيطان ، وتزكى النفس وتنميها ، وتحبب العبد إلـــى الله وإلى خلقه ، وتدخل السرور على الفقراء والمساكين وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين ، وتزيد فـــي العمـــر ، وتثقـــل المـــيزان وتكون ظلاً لصاحبها من شدة الحر يوم القيامة ، وفيها خفـــة الحســـاب وجواز على الصراط ، وزيادة في الدرجات ، وتدفع عن صاحبها عذاب

---

[١] تبيه الغافلين ص : ١٤٨ .

[٢] تنبيه الغافلين ص : ١١٠ .

القبر ، وتهون عليه شدائد الدنيا والآخرة ، وتشفع له عند الله ، فمن كسى مؤمناً كساه الله من حلل الجنة ، ومن أشبع جائعاً أشبعه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى ظمآنا سقاه الله من شراب الجنة ، وإذا كان الله سبحانه قد غفر لمن سقى كلباً على شدة ظمئه ، فكيف بمن سقى العطاش وأشبع الجياع وكسى العراة من المسلمين وقد قال رسول الله ﷺ " **اتقوا النار ولو بشق تمرة** " [١] .

ـ فلا تستصغر حجم الصدقة حتى ولو كانت تمرة أو لقمة .

ـ فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " **من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ـ فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه [٢] حتى تكون مثل الجبل** " [٣] .

ـ وعن عقبة ابن عامر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " **إن الصدقة لتطفئ على أهلها حر القبور ، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته** " [٤] .

ـ وقال يزيد بن أبى حبيب عن أبي الخير عن عقبة : كل أمرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ، قال يزيد وكان أبو الخير لا يأتي عليه يوم إلا تصدق فيه ولو بكعكة أو بصلة .

---

[١] متفق عليه .

[٢] الفلو : ولد الفرس .

[٣] رواه البخاري .

[٤] رواه الطبراني في الكبير .

الصبر على

الأذى في سبيل الله

ـ إن احتمال الأذى في سبيل الله بضاعة الصديقين ، وشعار الصالحين وحقيقته أن يؤذى المسلم في ذات الله تعالى فيصبر ويتحمل ، فلا يرد السيئة بغير الحسنة ، ولا ينتقم لذاته ، ولا يتأثر لشخصيته ما دام ذلك في سبيل الله ، ومؤدياً إلى مرضات الله ، وأسوته في ذلك المرسلون والصالحون .

ـ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي أن نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : " **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** " [١] .

ـ وعن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا ؟ فقال :" **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دين الله** " [٢] .

ـ ويقص علينا رسول الله ـ فيما يرويه صهيب رضى الله عنه قصة أصحاب الأخدود الذين صبروا على الأذى وتحملوا المشاق حتى الموت في سبيل عقيدتهم وامتثالهم لأمر الله .

---

[١] رواه البخاري وابن ماجة وأحمد .

[٢] متفق عليه .

يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ [1] .

ــ ويعدد القرآن أوصاف أولي الألباب الذين يستحقون عقبى الدار " أي الجنة " فيقول تعالى : ﴿ **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار** ﴾ [2] .

ــ إن الفرق ما بين الإنسان المتحضر وغيره ، أنه يقدر على ضبط نفسه والتحكم في عواطفه وانفعاله ، وتوجيه سلوكه وعلاقاته الوجهة الإنسانية التي تُرضي الأذواق الراقية والآداب الرفيعة ، ولا تجرح إحساس أحد أو تؤذيه بغير موجب . وهذا ما يصوره لنا القرآن الكريم إذ عرض علينا صورة أولئك الجفاة من أعراب البادية الذين جاءوا إلى حجرات أزواج النبي ــ أمهات المؤمنين ــ ينادون بأصوات جاهرة ، وجلافة ظاهرة اخرج إلينا يامحمد ، غير مراعين ما تقتضيه اللياقة والأدب في معاملة شخصية مثل شخصية الرسول الكريم ، لها مقامها ومشاغلها وأعباؤها فنزل القرآن الكريم يندد بهذا المسلك الفج الجافي ، وإن قدر ظروف بداوتهم، وأعلن العفو والمغفرة عنهم في النهاية : وفي هذا يقول : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم** ﴾ [3] .

---

[1] سورة فصلت : آية : ٣٤ : ٣٦ .

[2] سورة الرعد : آية : ٢٢ .

[3] سورة الحجرات : آية : ٤ : ٥ .

فآخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجئ بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال : إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجئ بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه [1] فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جئ بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جئ بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته [2] فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور [3] ، وتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت [4] بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى ، فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال : ما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على

---

[1] أي : وسطه .

[2] ذروة الجبل : أعلاه .

[3] القرقور : بضم القافين : نوع من السفن .

[4] انكفأت : أي : انقلبت .

جذع [1] ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قـــل بسم الله رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني .
فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوقـع في صدغه [2] فوضع يده في صدغه فمات [3] فقال الناس : آمنا بـــرب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر [4] قد والله نزل بك حذرك ، قـــد آمـــن النـــاس ، فـــأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت [5] وأضرم [6] فيها النيران وقال : من لـــم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست [7] أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يـــا أمـــاه اصبري [8] فإنك على الحق " [9] .

---

[1] هو العود من أعواد النخل ، و" كنانتي " بيت السهام ، و" كبد القوس " وسطه .
[2] في صدغه : الصدغ : هو ما بين العين إلى شحمة الأذن .
[3] فوضع يده في صدغه : لتألمه من السهم .
[4] أي ما كنت تخاف منه ، وهو أن يتجه الناس من عبادته إلى عبادة الواحد القهار .
[5] الأخدود : الشقوق في الأرض كالنهر الصغير ، وخدت أي شقت .
[6] أضرم فيها النيران : أي أشعل فيها النيران .
[7] تقاعست : توقفت وجبنت .
[8] يا أماه اصبري فإنك على الحق : أي اصبري على هذا العذاب ، فإنه يؤول إلى جزيل الثـواب وإلى الخلد في جنات عدن ، قال تعالى : " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحيـــاء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفـهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنيـن " آل عمران : ١٦٩ : ١٧١ .
[9] رواه مسلم .

الصبر على

أذى الناس

ـ الصبر على أذى الناس من أعلى المراتب كالذي يؤذى بقول أو فعل أو جناية على نفسه أو ماله .

ـ وهذه صورة من صور احتمال الأذى كانت لرسول الله ﷺ : قسم يوماً مالاً ، فقال أحد الأعراب : قسمة ما أُريد بها وجه الله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاحمرت وجنتاه ، ثم قال : " **يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر** " [١] .

ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه [٢] جبذة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء . [٣] .

ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شئ قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شئ من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى . [٤] .

---

[١] رواه البخاري ومسلم وأحمد من حديث ابن مسعود .

[٢] الجبذة : الجذبة ، و" الصفحة " : الجانب ، و" العاتق " : ما بين العنق والكتف .

[٣] متفق عليه .

[٤] رواه مسلم .

ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قـال رسـول الله ﷺ " **إذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الصبر ؟ فيقوم نـاس وهـم قليلون فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكـة فيقولـون : إنـا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون نحن أهل الفضل فيقولـون ما كان فضلكم ؟ فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسئ إلينا غفرنـا وإذا جُهل علينا حلمنا ، فيقال لهم أدخلوا الجنة فنعم أجر العاملين** " [١].

ـ وروي عن مجاهد رضى الله عنه : " أن رسول الله ﷺ مـر بقـوم يربعون حجراً : يعني يرفعون حجراً وينظرون أيهم أقوى ، فقال رسـول الله ﷺ ما هذا ؟ قالوا حجر الأشدّاء فقال ألا أخبركم بما هو أشد منـه ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : **الذي يكون بينه وبين أخيه شحناء فيغلـب شيطانه وشيطان صاحبه فيأتيه حتى يكلمه** " [٢] .

ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **ينادي مناد يوم القيامـة أيـن الذين كانت أجورهم على الله عز وجل ؟ فيقوم العـافون عـن النـاس فيدخلون الجنة** " [٣] . وهذا مصداق قوله تعـالى : ﴿ **وسـارعوا إلـى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذيـن ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ [٤] . وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولـون ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى !.

---

[١] عدة الصابرين ص : ١٢٥ .

[٢] ، [٣] تنبيه الغافلين ص : ١٠٠ .

[٤] سورة آل عمران : آية : ١٣٣ ، ١٣٤ .

الصبر في مجال

العلاقات الإنسانية

ــ وهو مجال الآداب والعلاقات الاجتماعية بين الناس .

ــ فالعلاقات الزوجية لا تستقيم ولا تستقر إلا بأن يكون الزوجان واقعيين يصبر كل منهما على صاحبه ، ويحتمل منه بعض ما لا يروقــــه ، بـــل بعض ما يؤذيه .

ــ فالحياة تختلط فيها الأشواك بالأزهار ، وتمتزج فيها الآلام بـــــالملذات وكل إنسان فيه ما يمدح وما يذم ، ومن ذا الذي تُرضَى سجاياه كلها ؟

ــ بل أمر القرآن الرجال بالصبر وإن أحس أحدهم بالنفرة والكراهية في نفسه قِبل زوجه ، مقدماً العقل على العاطفة ، والانقياد للأخــــلاق علـــى اتباع الهوى .

ــ وفي هذا يقول القرآن في معاملة الأزواج للنســـاء : ﴿ **وعاشـــروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خـــيراً كثيراً** ﴾ [1] .

ــ وجاء الحديث النبوي الشريف يؤكد هذا المعنى القرآني إذ قـــالﷺ " **لا يفرك** " أي يبغض " **مؤمن مومنة ، إن سخط منها خلقاً رضى منـــها آخر** " [2] .

---

[1] سورة النساء : آية : ١٩ .

[2] رواه أحمد ومسلم .

ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهماعن النبي ﷺ قال : " **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي** " [١] وفي رواية : " **خيركم ألطفكم بأهله** "

وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء .

ـ وقال ﷺ : " **أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون** " [٢] .

ـ والزوجة أيضاً مأمورة بطاعة زوجها ، وبطلب رضاه ، والصبر على ما يبدو منه من سوء خلق وغيره .

ـ عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " **أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة** " [٣] .

ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** " [٤] .

ـ وقالت عائشة رضى الله عنها : يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها .

ـ وقال ﷺ : " **يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء والحيتان في الماء ، والملائكة في السماء ، والشمس والقمر ، ما**

---

[١] رواه ابن ماجة .

[٢] انظر الكبائر للذهبي ص : ١٧٥ .

[٣] رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه والحاكم وصححه .

[٤] رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

دامت في رضا زوجها ، وأيما امرأة عصت زوجها فعليـــها لعنـــة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه ، وأيما امرأة خرجت من دارهـــا بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع " [١] .

ـ وعن عبد الله بن محمد بن عقيل رضى الله عنه عن النبي ﷺ قـــال " **ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة ، العبـد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم ، والمـــرأة الســـاخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو** " [٢] .

ـ وعن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رســـول الله ﷺ " **لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه** " [٣] .

ـ وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أربع من النساء فـــي الجنـــة وأربع في النار ، فأما الأربع اللواتي في الجنة : فامرأة عفيفة طائعـــة لله ولزوجها ، ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ، ذات حياء ، إن غاب عنها حفظت نفسها وماله ، وإن حضر أمسكت لسانها عنه ، والرابعة [٤] امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادهـــا وربتهم وأحسنت إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا ، وأما الأربع اللواتي فـــي النار من النساء : فامرأة بذيئة اللسان على زوجها أي طويلة اللسان

---

[١] الكبائر للذهبي ص : ١٧٥ .

[٢] رواه الطبراني في الأوسط .

[٣] رواه النسائي بإسناد صحيح .

[٤] تنبيه : هكذا لم يذكر قبل الرابعة ثانية ولا ثالثة . الكبائر ص ١٧٥ .

على زوجها فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر آذته بلسانها ، والثانية : امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق ، والثالثة امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة ، والرابعة امرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا في طاعة زوجها " .

ـ فيجب على المرأة إذا أرادت رضا الله ، وسعادة الدارين الدنيا والآخرة والفوز بالجنة ، طاعة زوجها وطلب رضاه والصبر على ما يبدو منه من سوء خلق وغيره . قال رسول الله ﷺ : " **إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وأطاعت بعلها قيل لها أدخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت** " [1] .

ـ والصبر أيضاً مطلوب في علاقة الآباء مع أبنائهم ، والأبناء مع آبائهم والأقارب مع أقاربهم ، والجيران مع جيرانهم ، فقد قال علماؤنا : " إن حق الجار ليس هو مجرد كف الأذى عنه ، بل احتمال الأذى منه والصبر عليه " ويدخل في هذا إلجام النفس بلجام الحلم ، وكفها عن الاستجابة لثورة الغضب ودواعي الانفعال ، والحرص على دفع السيئة بالحسنة بل التي هي أحسن ، كما أوصى القرآن ، فيحيل هذا السلوك الجميل العدو إلى صديق ، فيكسب إلى صفه قلباً محباً ، بدل أن يضيف إلى أعدائه واحداً . يقول الله تعالى : ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما**

(1) رواه أحمد والطبراني من حديث عبد الرحمن بن عوف .

ــ فعن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت فـابعث إلى غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه ، وكان في طريقـه إذا سلك راهب ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مـر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلـى الراهـب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي وإذا خشـيت أهلـك فقـل حبسني الساحر .

فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة فد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كـان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتـى يمضـى الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره ، فقـال لـه الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي ، وكان الغلام يبرئ الأكمه [١] والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتـاه بهدايا كثيرة فقال : ما هاهنا لك أجمع إن أنت شـفيتني فقـال : إنـي لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله تعالى فإن آمنت بـالله تعـالى ، دعـوت الله فشفاك ، فآمن بالله تعالى ، فشفاه الله تعالى .

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : مـن رد عليـك بصرك ؟ قال : ربى ، قال : ولك رب غيري ؟! قال : ربي وربـك الله

---

[١] وهو الذي ولد أعمى .

الصبر عند

الغضب

ـ اعلم : أن الغضب شعلة من النار ، وأن الإنسان ينزع فيه عند الغضب عرق إلى الشيطان اللعين ، حيث قال : ﴿ **خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ [1] فإن شأن الطين السكون والوقار ، وشأن النار التلظي والاشتعال ، والحركة والاضطراب .

ـ ومما يدل على ذم الغضب قول النبي ﷺ للرجل الذي قال له أوصني ، قال : " **لا تغضب** " ، **فردد عليه مراراً ، قال " لا تغضب** " [2] .

ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : " **قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال : لا تغضب ولك الجنة** " [3] .

ـ وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما : " **أنه سأل النبي ﷺ ماذا يباعدني من غضب الله عز وجل ؟ قال : لا تغضب** " [4] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " **ليس الشديد بالصرعة** [5] ، **إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** " [6] .

---

(١) سورة الأعراف : آية : ١٢ .

(٢) رواه البخاري عن أبو هريرة .

(٣) رواه الطبراني .

(٤) رواه أحمد .

(٥) الصرعة : بضم الصاد وتشديدها وفتح الراء ، من يصرع غيره ويغلبه .

(٦) رواه البخاري .

ـ وقال جعفر بن محمد : الغضب مفتاح كل شر .

ـ وقيل لابن المبارك : اجمع لنا حسن الخلق في كلمة ، قال : ترك الغضب .

ـ وذكر أن عمر بن عبد العزيز رأى سكران فأراد أن يأخذه فيعزره فشتمه السكران فلما شتمه رجع عمر ، فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته ؟ قال لأنه أغضبني فلو عزرته لكان ذلك لغضب نفسي ولا أحب أن أضرب مسلماً لحمية نفسي .

ـ وروي عن ميمون بن مهران أن جارية له جاءت بمرقة فعثرت فصبت المرقة عليه فأراد ميمون أن يضربها فقالت الجارية يا مولاي استعمل قول الله تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ فقال قد فعلت ، فقالت اعمل بما بعده ﴿ **والعافين عن الناس** ﴾ قال قد عفوت ، فقالت اعمل بما بعده ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾ فقال ميمون أحسنت إليك فأنت حرة لوجه الله تعالى .

ـ وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان له فرس وكان معجباً به ، فجاء ذات يوم فوجده على ثلاث قوائم فقال لغلامه من صنع به هذا ؟ فقال أنا قال : لم ؟ قال أردت أن أغمك ، قال لا جرم لأغمن من أمرك به يعني الشيطان : اذهب فأنت حر والفرس لك .

ـ وروى أن إبليس لعنه الله بدا لموسى عليه السلام ، فقال : يا موسى إياك والحدة ، فإني ألعب بالرجل الحديد كما يلعب الصبيان بالكرة .

ـ وروي عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبى هريرة رضى الله عنه قال " سب رجل أبا بكر الصديق رضى الله عنه ورسول الله ﷺ

جالس فسكت النبي ﷺ وسكت أبو بكر ، فلما سكت الرجل تكلم أبو بكر فقام النبي ﷺ وأدركه أبو بكر فقال يا رسول الله سبني وسكت فلما تكلمت قمت ؟ فقال النبي ﷺ إن الملك كان يرد عليه عنك حين سكت فلما تكلمت ذهب الملك وقعد الشيطان ، فكرهت أن أقعد في مقعد مع الشيطان ، ثم قال رسول الله ﷺ ثلاث كلهن حق : " **ما من عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها ابتغاء مرضاة الله تعالى إلا زاده الله بها عزاً ، وما من عبد فتح على نفسه باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله تعالى بها قلة ، وما من عبد أعطى عطية يبتغي بها وجه الله تعالى إلا زاده الله تعالى بها كثرة** " [١] .

ـ وروي أن ذا القرنين لقى ملكاً من الملائكة فقال : علمني علماً أزداد به إيماناً ويقيناً ، قال : لا تغضب ، فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب ، فرد الغضب بالكظم ، وسكنه بالتؤدة ، وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك ، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد ، ولا تكن جباراً عنيداً .

ـ وقال إبراهيم التيمي : أُريتُ في النوم كأنه ورد بي على نهر فقيل لي اشرب واسق بما صبرت وكنت من الكاظمين .

ـ وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه ، من يتكفل لي أن لا يغضب ، فيكون معي في درجتي ، ويكون بعدي خليفتي ، فقال شاب من القوم ، أنا ، ثم أعاد عليه ، فقال الشاب أنا أوفي به ، فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو **الكفل** ، سمى به لأنه تكفل بالغضب ووفي به .

---

[١] تنبيه الغافلين ص : ٩٨ .

– وكان يقال : اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل والغضب عدو العقل . فإنه متى قويت نار الغضب والتهبت ، أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة ، لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ فيغطي على معادن الفكر وربما تعدى إلى معادن الحس ، فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه ، وتسود الدنيا في وجهه ، ويكون دماغه على مثال كهف أضرمت فيه نار ، فاسود جوه ، وحمى مستقره ، وامتلأ بالدخان وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ ، فلا يثبت فيه قدم ، ولا تسمع فيه كلمة ولا ترى فيه صورة ، ولا يقدر على إطفاء النار ، فكذلك يفعل بالقلب والدماغ ، وربما زاد الغضب فقتل صاحبه .

– **علاج الغضب** : يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل .

– **أما العلم فهو ستة أمور :**

– **الأول** : رجاء ثواب كظم الغيظ والعفو . وليس أدل على هذا الثواب من قوله تعالى : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ [1] .

– وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " **من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه ، دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء** " [2] .

– وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من كف**

[1] سورة آل عمران : آية : ١٣٣ : ١٣٤ .

[2] رواه أبو داود والترمذي .

غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته " [1] .

ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " **من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا** " [2] .

ـ وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى** " [3] .

ـ وقال رجل لعمر رضي الله عنه ، والله ما تقضي بالعدل ، ولا تعطي الجزل ، فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه ، فقال له رجل يا أمير المؤمنين ، ألا تسمع أن الله تعالى يقول : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [4] فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت ناراً فأطفئت .

ـ **الثاني** : أن يخوف نفسه بعقاب الله ، وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان ، فلو أمضيت غضبي عليه ، لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو ، فقد قال تعالى في بعض الكتب ، يا ابن آدم اذكرني حين تغضب ، أذكرك حين أغضب ، فلا أمحقك فيمن أمحق .

ـ **الثالث** : أن يحذر نفسه عاقبة العدواة والانتقام ، وتشمر العدو لمقابلته

---

[1] رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف .

[2] رواه ابن أبي الدنيا.

[3] رواه ابن ماجة .

[4] سورة الأعراف : آية : ١٩٩ .

والسعى في هدم أغراضه ، والشماتة بمصائبه ، وهــو لا يخلــو عــن المصائب ، فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ، إن كان لا يخـــاف من الآخرة ، وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب ، وليس هذا مــن أعمال الآخرة ، ولا ثواب عليه ، لأنه متردد علـــى حظوظــه العاجلــة يقدم بعضها على بعض ، إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل ، وما يعينه على الآخرة فيكون مثاباً عليه .

ـ **الرابع** : أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب ، بأن يتذكر صـــورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفســـه ، ومشـــابهة صاحبه للكلب الضاري ، والسبع العادي ، ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والأولياء ، والعلماء والحكماء ، ويخير نفســـه بيـــن أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس ، وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبيـــاء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهم .

ـ **الخامس** : أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ، ويمنعه مــن كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب ، مثل قول الشيطان له ، إن هـــذا يحمل منك على العجز ، وصغر النفس والذلة ، والمهانة ، وتصير حقيراً في أعين الناس ، فيقول لنفسه ، ما أعجبك ! تأنفين مـــن الاحتمـــال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح ، إذا أخذ هذا بيـــدك وانتقـــم منه ! وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ، ولا تحذرين مـــــن أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين . وينبغي أن يكظم غيظـــه ، فذلـــك يعظمه عند الله تعالى ، فماله وللناس ؟ أفلا يحب أن يكون هـــو القـــائم يوم القيامة إذا نودي : ليقم من وقع أجره على الله ، فلا يقوم إلا من عفـا فهذا وأمثاله ينبغي أن يقرره على قلبه .

ـ **السادس** : أن يعلم أن غضبه إنما كان من شئ جرى على وفق مـراد الله تعالى لا على وفق مراده ، فكيف يقدم مراده على مراد الله تعالى .

ـ **أما العمل :**

ـ **أولاً** : التعوذ : بأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أمر رسول الله ﷺ أن يقال عند الغضب ، فعن سليمان بن صرد رضى الله عنه قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان وأحدهمـا قـد احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال رسول الله ﷺ : " **إني لأعلم كلمـة لو قالها هذا لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيم ، ذهب عنه ما يجد** " **فقالوا له : إن النبي ﷺ قال تعوذ بـالله من الشيطان الرجيم** . [1] .

ـ وكان رسول الله ﷺ إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال : " **يـاعويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرنـي من مضلات الفتن** " [2] فيستحب أن تقول ذلك .

ـ **ثانياً** : تغير الحال : فاجلس إن كنت قائماً ، واضطجع إن كنت جالسـاً واقرب من الأرض التي منها خلقت ، لتعرف بذلك ذل نفسك ، واطلـب بالجلوس والاضطجاع السكون ، فإن سبب الغضب الحـرارة ، وسـبب الحرارة الحركة ، فقد قال رسول الله ﷺ : " **إن الغضب جمرة توقـد**

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه ابن السنى .

في القلب ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه [١] وحمرة عينيه ؟ فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فلينم " [٢] .

ـ **ثالثاً** : الوضوء : قال ﷺ " **إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار** " [٣] وفي رواية " **إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ** " .

ـ **رابعاً** : السكوت : فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال " **إذا غضب أحدكم فليسكت** " [٤] قالها ثلاثاً . وهذا أيضاً دواء عظيم للغضب ، لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه ، كثيراً من السباب وغيره ما يعظم ضرره فإذا سكت زال هذا الشر كله عنه . قال عمرو بن العاص : إني لأصبر على الكلمة لهي أشد علي من القبض على الجمر ما يحملني على الصبر عليها إلا التخوف من أخرى شر منها ، ويقال عليكم بالصبر عند الغضب وإياكم والعجلة عند الغضب ، فإن في العجلة ثلاثة أشياء وفي الصبر ثلاثة أشياء ، فأما الثلاثة التي في العجلة فأحدها الندامة في نفسه والثاني الملامة عند الناس ، والثالث العقوبة عند الله تعالى . وفي الصبر ثلاثة أشياء : السرور في نفسه ، والمحمدة عند الناس ، والثواب من الله تعالى ، فإن الحلم يكون مراً في أوله وحلواً في آخره كما قال القائل :

الحلم أوله مر مذاقته ∴ لكن آخره أحلى من العسل

---

[١] الأوداج : جمع ودج ، وهو عرق في العنق .

[٢] رواه البيهقي في الشعب .

[٣] رواه أبو داود من حديث عطية السعدي .

[٤] رواه أحمد .

ما يعين على

الصبر في القرآن الكريم

ــ مع مشقة الصبر ، وصعوبته على النفس البشرية ، أشار القرآن إلــى جملة أمور تعين على الصبر ، وتهونه على النفس . منها :

١ــ المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا :

فأقرب ما يعين الإنسان على الصبر ، وخاصة على النوائــب والشــدائد هو تصور الحياة التي يعيش فيها ، ومعرفتها علــى حقيقتــها وواقعــها فهي دار ممر وليست بدار مقر ، مملوءة بالبلايا والمحن والفتن ، وهــي دار التكليف والعمل لا دار الغرور والأمل ، فكل ما يظن في الدنيا أنــه شراب فهو سراب ، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب ، وجمعــها فهو للذهاب ، فهي ليست جنة نعيم ، ولا دار خلود ، إنما هــي ابتــلاء وتكليف خلق الإنسان فيها لُيصقل ويُبتلى ليُعد لحياة الخلود فــي الــدار الباقية ، ومن عرف الحياة على هذا النحو لم يفاجأ بكوارثها فالشيء مــن معدنه لا يُستغرب . أما من كان من الناس يتصور الحياة طريقاً مفروشــاً بالأزهار والرياحين ، فإنه إذا نزل به شئ مهما قل وضؤل كان أشد مــا يكون على نفسه لأنه لم يكن يتوقع شيئاً منه ، فقد جهل طبيعة الحياة .

ــ والقرآن الكريم يشير إلى أن حياة الإنسان محفوفة بالمتاعب والمشــقة حين يقول تعالى : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ [١] .

---

[١] سورة البلد : آية : ٤ .

ـ كما يشير إلى طبيعة الحياة ودوام تغيرها ، وأنها لا تلبث على حال فيوم لك ويوم عليك ، قال تعالى : ﴿ **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾ [١] .

ـ لقد خلق الله الحياة الدنيا على طبيعة اختلطت فيها اللذائذ بالآلام والمحاب بالمكاره ، فهيهات أن ترى فيها لذة لا يشوبها ألم ، أو صحة لا يكدرها سقم ، أو سروراً لا ينغصه حزن ، أو راحة لا يخالطها تعب أو اجتماعاً لا يعقبه افتراق ، أو أمناً لا يلحقه خوف ، إن هذا ينافي طبيعة الحياة ، ودور الإنسان فيها .

ـ قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : صف لنا الدنيا ، فقال : ماذا أصف لك من دار أولها بكاء ، وأوسطها عناء ، وآخرها فناء ؟ !

ـ وليعلم العبد الصالح أنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى : إما بفوات محبوب ، أو حصول مكروه ، وأن سرور الدنيا أحلام نائم ، وظل زائل ، وسحابة صيف ، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً ، وإن سرت يوماً أساءت دهراً ، وإن منعت قليلاً ، منعت طويلاً .

٢ـ اليقين بحسن الجزاء عند الله :

فإن مما يحث الإنسان على عمل ما ، ويثبته عليه ، ويزيده رغبة فيه وحرصاً عليه ، أن يطمئن إلى أنه مجزي عليه جزاء مرضياً ، ومن هنا وضعت الدول والمؤسسات المكافآت التشجيعية والجوائز التقديرية للمحسنين والمتفوقين .

ـ والقرآن يشير إلى أن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء من الله تعالى

---

[١] سورة آل عمران : آية : ١٤٠ .

وذلك حين يرجعون إليه ، ويقفون بين يديه ، فيعوضهم عـــن صـــبرهم أكرم العوض ، ويمنحهم أعظم الأجر ، وأجــزل المثوبـــة ، حتـــى ورد إن أهل العافية يتمنون يوم القيامة لـــو أن أجســامهم كـــانت تُقــرض بالمقاريض في الدنيا ، لما يرون من عظم ثواب الله لأهل البلاء " .

ـ ولا نجد في القرآن شيئاً ضخم جزاؤه ، وعظم أجره ، مثل الصبر .

ـ فهو يتحدث عن هذا الأجر بأسلوب المدح والتفخيم فيقول : ﴿ **نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [١] .

ـ ويصرح القرآن الكريم بأن أجر الصابرين غير معـــدود بعَــد ، ولا محدود بحَد ، ولا محسوب بمقدار . وذلك في قوله تعالى : ﴿ **إنما يوفـى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [٢] قال بعض المفسرين : يُغرف لـــهم غرفاً ، ويُصب عليهم صباً .

ـ وإذا كان هذا هو جزاء الصابرين عند الله ، فالواجب على المؤمـن إذا أصابته مصيبة أن يتذكر هذه الحقيقة الكبيرة : أن مصيره إلى الله مـــهما تطل هذه الحياة ، وأن أجره عنده لن يضيع ، وهذا ما وصف به القــرآن الصابرين حين قال : ﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ [٣] فإذا قالوا : ﴿ **إنا لله** ﴾ تذكروا بها حقيقـــة أنفسهم ، وأنهم ملك لله ، وإذا قالوا : ﴿ **وإنا إليه راجعـــون** ﴾ تذكـــروا حسن الجزاء عند ربهم ، فدفعهم ذلك إلى حُسن الصبر والسلوان .

---

[١] سورة العنكبوت : آية : ٥٨ : ٥٩ .

[٢] سورة الزمر : آية : ١٠ .

[٣] سورة البقرة : آية : ١٥٥ : ١٥٦ .

ـ وقد جاء عن عمر قوله : " ما أُصبت ببلاء إلا كان لله علي فيه أربع نعم : أنه لم يكن في ديني ، وأنه لم يكن أكبر منه ، وأني لم أُحرم الرضا به ، وأني أرجو ثواب الله عليه .

ـ فكان رجاء ثواب الله على البلاء ، في نظر عمر ، أحد الأسباب الملطفة له ، إلى حد نقله من دائرة المصائب التي يصبر عليها ، إلى دائرة النعم التي يشكر عليها .

ـ ويقال أن امرأة فتح الموصلي ، عثرت فانقطع ظفرها ، وفي هذا من الألم ما فيه ، ولكنها حمدت الله وضحكت ، فقيل لها : أما تجدين الوجع ؟ فقالت : إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه !

ـ فمن تلمح الثواب ، هان عليه البلاء ، ومثال هذا مثال رجل يسافر في طلب الربح ، فإنه يدرك مشقة السفر ، لكن حبه لثمرة سفره طيب عنده تلك المشقة ، وجعله راضياً بها ، وكل من أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين ، فإنه يتوقع الأجر فوق ما فاته فيرضى بما أصابه .

ـ فإن يقين الإنسان بحسن الجزاء ، وعظم الأجر عند الله ، على البلية يخفف مرارتها على النفس ، ويهون من شدة وقعها على القلب ، وكلما قوى اليقين ، ضعف الإحساس بألم المصيبة .

ـ ومن دلائل ذلك ما جاء في الحديث من أدعية النبي ﷺ أنه كان يقول " **اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا** " [1] .

---

[1] رواه الترمذى وحسنه والنسائي والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث ابن عمر

٣ــ **معرفة الإنسان نفسه :**

ــ وأعنى بذلك أن يعرف الإنسان أنه ملك لله تعالى أولاً وآخراً ، الله هو الذي خلقه من عدم ، ومنحه الحياة والحس والحركة ، ووهب له السمع والبصر والفؤاد ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، إذا كان لديه صحة وقوة فهي من الله ، وإن كان له مال فهو من الله ، وإن كان عنده ولد فهو من الله ، فإذا نزل بالمرء نازل سلبه شيئاً مما عنده ، فإنما استرد صاحب الملك بعض ما وهب ، ولا ينبغي للمودع أو المستعير أن يسخط على المالك إذا استرد يوماً من الدهر وديعته أو عاريته .

وصدق لبيد بن ربيعة ــ القائل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ∴ ولا بد يوماً أن تُرد الودائع

ــ وفي الصحيحين وغيرهما في قصة أم سليم مع زوجها أبى طلحة دليل واضح على فهم السلف الصالح ، رضوان الله عليهم ، لهذه الحقيقة حيث عرفوا أنفسهم فعرفوا مقام ربهم وقدروه حق قدره . حين مات ابن لهما وأبو طلحة خارج ، فقامت الأم إلى الصبى فغسلته وكفنته وحنطته " طيبته بالحنوط " وسجت عليه ثوباً ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ فقالت : قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ! " تعني بالموت " وظن هو أنه استراح بالنوم لمجيء العافية ، ثم تعرضت له فأصاب منها ، فلما أراد أن يخرج قالت له : يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قوماً أعاروا أهل بيت عارية ، فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال لا . إن العارية مؤداة إلى أهلها ، فقالت : إن الله أعارنا فلاناً " وسمت ابنها " ثم أخذه منا ، فاسترجع " قال إنا لله وإنا إليه راجعون " فصلى مع

النبي ﷺ فأخبره بما كان منهما ، فقال رسول الله ﷺ : " لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما " . فقال رجل من الأنصار : فرأيت لهما " أي من ابنهما عبد الله " تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن .

ـ ومن ثَم علم القرآن الكريم الصابرين الذين كتب لهم البشرى والصلوات والهداية والرحمة أن يقولوا إذا أصابتهم مصيبة : ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ وهذه الكلمة ، من أبلغ علاج للمصاب ، وأنفعه له في عاجلته وآجلته ، فإنها تتضمن أصلين عظيمين ، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته :

ـ **أحدهما** : أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل ، وقد جُعِل عند العبد عارية ، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ عاريته من المستعير .

ـ **الثاني** : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ، ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجئ ربه فرداً كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات ، فإذا كانت هذه بدايته ونهايته فكيف يفرح بموجود ، ويأسى على مفقود ؟! ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم معين على التحلي بالصبر عند الشدائد والمصائب والمحن والفتن .

٤ـ اليقين بالفرج :

ـ مما يعين الإنسان على الصبر : اليقين بأن نصر الله قريب ، وأن فرجه آت لا ريب فيه ، وأن بعد الضيق سعة ، وأن بعد العسر يسراً وأن ما وعد الله به المؤمنين من نصر ، وما وعد به المبتلين من العوض والإخلاف ، لا بد أن يتحقق .

ـ هذا اليقين جدير بأن يُبدد ظلمة القلق من النفس ، ويطرد شبح اليأس

من القلب ، وأن يُضيئ الصدر بالأمل في الظفر ، والثقة بالغد ، وهذا كسب نفسي كبير ، فإن الأمل قوة محركة ، وشحنة دافعة إلى الأمام أما اليأس فهو داء وبيل ، بل قتال .

ـ إن الذي أعان يعقوب على الصبر ، أمله في الله ، وثقته بالمستقبل وإن الله لن يضيع صبره وعمله . ولهذا قال بعد أخذ ولده الثاني واحتجازه في مصر : ﴿ **فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً** ﴾ [١] وقال لبنيه : ﴿ **يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ [٢] . ولا عجب أن تكرر في القرآن الأمر بالصبر مقروناً بالتذكير بأن وعد الله حق ، أي لا يتخلف أبداً ، قال تعالى : ﴿ **وعد الله لا يخلف الله الميعاد** ﴾ [٣] ، وقال تعالى : ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك** ﴾ [٤] .

ـ ووعد الله الحق للصابرين يتمثل في جملة أشياء :

ـ **الأول** : الوعد بالسعة بعد الضيق ، وبالعافية بعد البلاء ، وبالرخاء بعد الشدة ، وباليسر بعد العسر . وفي هذا يقول القرآن ﴿ **سيجعل الله بعد عسر يسراً** ﴾ [٥] . ولم يكتف الخالق سبحانه وتعالى أن جعل اليسر بعد العسر بل جعله في موطن آخر معه وبصيغة التأكيد حيث قال

---

[١] سورة يوسف : آية : ٨٣ .

[٢] سورة يوسف : آية : ٨٧ .

[٣] سورة الزمر : آية : ٢٠ .

[٤] سورة غافر : آية : ٥٥ : ٧٧ .

[٥] سورة الطلاق : آية : ٧ .

﴿ **فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً** ﴾ [1] وفي هذه الآيات يتجلى أمرين :

أ ــ قُرب تحقق اليسر بعد العسر حتى كأنه معه ، ومتصل به فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " **لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً ﴾** [2] .

وقال ﷺ : " **لن يغلب عسر يسرين** " [3] . وروى أن أبا عبيدة حُصر فكتب إليه عمر رضي الله عنهما يقول : مهما ينزل بامرئ شدة يجعل الله بعدها فرجا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإنه سبحانه يقول ﴿ **اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ [4] .

ب ــ أن مع العسر بالفعل يسراً ، لا ريب فيه ، قد يكون ظاهراً ملموساً وقد يكون خفياً مكنوناً ، وذلك ما نسميه " اللطف " ففي كل قدر لطف وفي كل بلاء نعمة . وفيه يقول ابن عطاء السكندري : من ظن انفكاك لطفه عن قدره ، فذلك لقصور نظره : ﴿ **إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم** ﴾ [5] لأنه أعلم بمن خلق وأرحم بهم من أنفسهم ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ [6] .

---

[1] سورة الشرح : ٥ : ٦ .

[2] رواه البزار في مسنده وابن أبى حاتم .

[3] رواه ابن جرير وغيره من حديث الحسن مرسلا .

[4] سورة آل عمران : آية : ٢٠٠ .

[5] سورة يوسف : آية : ١٠٠ .

[6] سورة الملك : آية : ١٤ .

ــ **الثاني** : الوعد بحسن العاقبة لأهل الصبر ، والعبرة بالعواقب والمدار على الخواتيم . قال تعالى :﴿ **فاصبر إن العاقبة للمتقين** ﴾ [1] .

ــ ولقد أحسن القائل :

اشتدي أزمة تنفرجي ∴ قد آذن ليلك بالبلج

ــ وقال بعض الحكماء : عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج .

ــ وروى ابن عباس رضي الله عنهما ، أن سليمان بن داود ، عليهما السلام ، لما استكد شياطينه في البناء شكوا ذلك إلى إبليس ، لعنه الله فقال : ألستم تذهبون فرغاً وترجعوا مشاغيل ؟ قالوا : بلى ، قال : ففي ذلك راحة ، فبلغ ذلك سليمان ، على نبينا وعليه السلام ، فشغلهم ذاهبين وراجعين ، فشكوا إلى إبليس ، لعنه الله ، فقال : ألستم تستريحون بالليل ؟ قالوا : بلى . قال ففي هذا راحة لكم نصف دهركم ، فبلغ ذلك سليمان ، عليه السلام ، فشغلهم بالليل والنهار ، فشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله ، فقال : الآن جاءكم الفرج ، فما لبث أن أصيب سليمان ، عليه السلام ميتاً على عصاه . فإذا كان هذا في نبي من أنبياء الله يعمل بأمره ويقف على حده ، فكيف بما جرت به الأقدار من يد عادية ، وساقه القضاء من حوادث نازلة ، هل تكون مع التناهي إلا منقرضة ، وعند بلوغ الغاية إلا منحسرة ؟

ــ قال بعض الحكماء : بمفاتيح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور .

ــ **الثالث** : الوعد بحسن العوض عما فات ، والإخلاف عما فقد ، فإن الله لا يضيع عنده أجر عامل ، ولا مثوبة محسن ، كيف وقد وعد وعداً

---

[1] سورة هود : آية : ٤٩ .

مؤكداً أنه لا يضيع أجر المحسنين ، وهذا يشمل الدنيا والآخرة جميعاً فهو في الدنيا يُعوضهم ويُخلف عليهم خيراً مما حُرموا ، وهو في الآخرة يُؤتيهم أجورهم بغير حساب .

ـ يقول الله تعالى واعداً المهاجرين في سبيله بحسن العوض عما حُرموا من الوطن والعشيرة : ﴿ **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ (١) .

ـ وفي قصة نبي الله أيوب عليه السلام نرى كيف صبر على ما أصابه من ضر في نفسه وأهله ، فانتهى به الصبر إلى أجمل العواقب ، وكشف الله عنه ضره ، ووهب له أهله ومثلهم معهم ، رحمة من عنده ، وذكرى للعابدين وعبرة لأولى الألباب . وهذا يؤكد لنا أن الصبر المر ، لا يُجتنى من ورائه إلا أحلى الثمرات في الدنيا ، قبل الآخرة .

ـ ومن هنا جاء خطاب الله تعالى لرسوله في سورة هود إذ يقول تعالى ﴿ **واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ (٢) فثمرة الصبر لا تضيع في الأولى ولا الآخرة .

٥ـ الاستعانة بالله :

ـ ومما يعين المبتلى على الصبر أن يستعين بالله تعالى ، ويلجأ إلى حماه ، فيشعر بمعيته سبحانه ، وأنه في حمايته ورعايته ، ومن كان في حمى ربه فلن يُضام .

---

(١) سورة النحل : آية : ٤١ : ٤٢ .

(٢) سورة هود : آية : ١١٥ .

ـ وفي هذا يقول تعالى في خطاب المؤمنين : ﴿ **واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ [1] .

ـ وفي خطاب رسوله : ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ [2] .

ـ ومن كان بمعية الله مصحوباً ، وكان بعين الله ملحوظاً ، فهو أهل لأن يتحمل المتاعب ويصبر على المكاره ، وهى معية خاصة تتضمن الحفظ والرعاية والتأييد والحماية .

ـ ولما هدد فرعون موسى عليه السلام وقومه ، أن يقتل أبناءهم ويستحيى نساءهم ، مستخدماً سيف القهر والجبروت ، قال موسى لقومه ﴿ **استعينوا بالله واصبروا** ﴾ [3] .

ـ ولعل حاجة الصابرين إلى الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه هي بعض أسرار اقتران الصبر بالتوكل على الله في آيات كثيرة ، مثل قوله تعالى : ﴿ **الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [4] وقوله على ألسنة الرسل : ﴿ **ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون** ﴾ [5] . فإن الله عز وجل يكفى من توكل عليه ، كما قال تعالى ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ [6] . وروى آدم بن أبى إياس في تفسيره بإسناده عن محمد بن إسحاق قال : جاء مالك الأشجعي

---

[1] سورة الأنفال : آية : ٤٦ .

[2] سورة الطور : آية : ٤٨ .

[3] سورة الأعراف : آية : ١٢٨ .

[4] سورة النحل : آية : ٤٢ .

[5] سورة إبراهيم : آية : ١٢ .

[6] سورة الطلاق : آية : ٣ .

إلى النبي ﷺ فقال : أسر ابني عوف ، فقال له : أرسل إليه أن رسول الله ﷺ يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فأتاه الرسول فأخبره ، فأكب عوف يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكانوا قد شدوه بالقد [1] فسقط القد عنه ، فخرج فإذا هو بناقة لهم ، فركبها فأقبل فإذا هو بسرح [2] القوم الذين كانوا شدوه ، فصاح بهم ، فأتبع آخرها أولها ، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادى بالباب ، فقال أبوه : عوف ورب الكعبة ! فقالت أمه : واسوأتاه ! وعوف كئيب يألم لما هو فيه من القد ، فاستبق الأب والخادم إليه ، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً ، فقص على أبيه أمره وأمر الإبل ، فأتى أبوه رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل فقال له رسول الله ﷺ : اصنع بها ما أحببت ، وما كنت صانعاً بإبلك ونزل قوله تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً** ﴾ [3] .

٦ـ التأسي بأهل الصبر والعزائم :

ـ إن التأمل في سير الصابرين ، وما لاقوه من ألوان الشدائد ، وما ذاقوه من صنوف البلاء يعين على الصبر ، ويطفئ نار المصيبة ببرد التأسي . ومن هنا حرص القرآن الكريم والسنة النبوية على ذكر قصص

---

(1) القد : القيد وهو في الأصل : سير يقيد به من جلد مدبوغ .

(2) السرح : المال السائم ، والكلأ المباح .

(3) سورة الطلاق : آية : ٢ : ٣ .

الأنبياء ، والصالحين تسلية للنبي والمؤمنين ، وتثبيتاً لقلوبهم في مواجهة البلاء والفتن . قال تعالى : ﴿ **وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** ﴾ (١) .

ويجئ الخطاب الرباني لرسول الله ﷺ ، قائلا : ﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** ﴾ (٢) .

ـ فإذا ضاق صدره يوماً بما يقولون أو يفعلون ، أو أدركه الحزن عليهم والضيق مما يمكرون وجد في صبر إخوانه من الرسل قبله ما يشد أزره ويمضي عزمه ، ويذهب همه ، قال تعالى : ﴿ **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإى المرسلين** ﴾ (٣) .

٧ـ الإيمان بقدر الله وقضائه :

ـ ومما يعين المرء على الصبر إيمانه بأن قدر الله نافذ لا محالة ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام وطويت الصحف .

ـ قال تعالى : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ (٤) .

---

(١) سورة هود : آية : ١٢٠ .

(٢) سورة الأحقاف : آية : ٣٥ .

(٣) سورة الأنعام : آية : ٣٤ .

(٤) سورة الحديد : آية : ٢٢ : ٢٣ .

ـ إن الركون للصبر في مثل هذا المقام أمر محمود بل واجب لأن مقادير الله نافذة سواء أرضي العبد أم سخط ، صبر أم جزع ، ولكن العاقل ينبغي أن يتحلى بالصبر حتى لا يحرم المثوبة ، وإلا فإنه سينتهي رغماً عنه إلى صبر الاضطرار ، الذي ليس له قيمة خلقية ولا دينية " إنما الصبر عند الصدمة الأولى " [١] .

ـ ولقد عزى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه رجلاً في ابن له مات فقال : يا أبا فلان ، إنك إن صبرت نفذت فيك المقادير ، ولك الأجر وإن جزعت نفذت فيك المقادير ، وعليك الوزر .

ـ وقال الأشعث بن قيس : إن أنت صبرت إيماناً واحتساباً ، وإلا سلوت سلو البهائم . وقال حكيم : العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام .

ـ ومما يندرج في هذا المعنى أن يعلم أن الجزع والهلع والضيق والتبرم لا ترد ما فات ، ولا تحيى ما مات ، ولا تغير من قوانين الله في كونه وسننه في خلقه : والتسليم بالواقع هو مقتضى العقل والدين معاً ، وإلا فليفعل ما يشاء من إظهار الكآبة والهلع ، والمبالغة في التوجع والتشكي فهل يغير هذا من الواقع شيئاً ؟ وهل يبدل سنن الله في الكون ؟ بالقطع لا وإنما يزيد النفس كمداً وغماً .

ـ وإلى هذا المعنى يشير القرآن في خطابه للرسول ﷺ حين آذاه موقف قريش منه وتكذيب المشركين له وقولهم فيه ما يُحرج النفس : ﴿ **قد نعلم**

---

[١] رواه البخاري .

إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإى المرسلين وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ﴾ [1] . فانظر إلى الآية الأولى كيف أزالت الوحشة والحزن عن قلب النبي ﷺ حين ذكرت له أن تكذيبهم ليس لشخصه وإنما هو جحود وتكذيب لربه سبحانه ، ثم عزاه الله وواساه ببيان سنة الرسل من قبله ، فكلهم قوبلت دعوتهم بالتكذيب وأشخاصهم بالإيذاء على ما كذبوا وأوذوا ولم يجزعوا أو ييأسوا حتى جاءهم نصر الله في النهاية وهذه سنة الله لا تبديل لها ، فاصبر يا محمد ، كما صبروا تظفر كما ظفروا ، وإن شق على نفسك إعراضهم عنك ، وذهبت نفسك عليهم حسرات وضاق صدرك بما يطلبون من آيات ، فليس لك إلا الصبر وإلا فافعل ما بدا لك ، فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض تهرب منه أو سلماً في السماء تصعد عليه ، فدونك فافعل .

ــ ومثل هذه الآية قوله تعالى فيمن يئس من نصر الله ، وقنط من رحمة الله ، وضاق ذرعاً وحرج صدراً : **﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾** [2] .

---

[1] سورة الأنعام : آية : ٣٣ : ٣٥ .

[2] سورة الحج : آية : ١٥ .

عقبات في طريق

الصبر

ـ لابد للإنسان عامة ، وللمؤمنين خاصة ، ولحملة الدعوات على وجه أخص ، إذا أرادوا أن يعتصموا بالصبر ، أن يحذروا من الآفات النفسية التي تعوقه وتعترض طريقه . من هذه الآفات التي أشار إليها القرآن :

١ـ **الاستعجال :**

ـ فالنفس مولعة بحب العاجل ، والإنسان عجول بطبعه حتى جعل القرآن العجل كأنه المادة التي خُلق الإنسان منها قال تعالى : ﴿ **خُلق الإنسان من عجل** ﴾ [1] فإذا أبطأ على الإنسان ما يريده نفذ صبره وضاق صدره ناسياً أن لكل أجل كتاباً مسمى ، وأن الله لا يعجل بعجلة الخلق .

ـ وليعلم العبد أن لكل ثمرة أوان لنضوجها ، فيحسن عندئذ قطافها والاستعجال لا ينضجها بل يهلكها ، وقديماً قيل : من استعجل الشيء قبل أوانه ، عوقب بحرمانه .

ولهذا خاطب الله رسوله قائلاً : ﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** ﴾ [2] أي لا تستعجل للكفار العذاب ، فإن لهم يوماً موعوداً . وقد كان المشركون لجهلهم وسفههم ، يستعجلون عذاب

---

[1] سورة الأنبياء : آية : ٣٧ .

[2] سورة الأحقاف : آية : ٣٥ .

الله غروراً منهم وعناداً ، فـــرد عليــهم ربــهم بمــا يقطــع دابرهــم . ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون** ﴾ [1] .

٢ــ الغضب :

ــ قد يرى المسلم ما يكره ، ويسمع ما يؤذيه فيســتفزه الغضــب إلــى الأعراض عن الناس والنفور منهم ، ومن ثم إلى اليأس والقنوط وهما آفة الصبر .

ــ فيجب على المسلم أن يصبر على أذى الناس وإعراضهم عن دعوتــه ويعاودهم المرة بعد المرة عسى أن يهدي الله به رجلاً واحداً فيكون خيراً له مما طلعت عليه الشمس .

ــ وفي هذا يقول الله لرسوله : ﴿ **فاصبر لحكم ربك ولا تكــن كصــاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بــالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين** ﴾ [2] .

ــ وصاحب الحوت المذكور هنا هو يونس عليه السلام ، وقد لقب فــي سورة الأنبياء أيضاً " ذا النون " ، وإنما أضيف إلى النــون أو الحــوت لأنه التقمه ثم نبذه ، وخلاصة قصته : أنه أُرسل إلى أهل قرية عرفــت باسم " نينوى " بالعراق فدعاهم إلى توحيد الله ، فأعرضوا ونأوا بميامنهم عنه ، ولم يجد من يستجيب لدعوته منهم ، فسرعان مــا فــرغ صــبره وضاق صدره ، فغادرهم ثائراً مغاضباً قبل أن يأذن الله له ، ظناً منــه أن

---

[1] سورة العنكبوت : آية : ٥٣ .

[2] سورة القلم : آية : ٤٨ : ٥٠ .

أرض الله واسعة ولن يُضيق الله عليه ، فإن يكفر به هؤلاء ، فقد يجد في غيرهم المؤمنين الصالحين .

واندفع وراء غضبه على القوم ، حتى انتهى إلى شاطئ البحر ، فوجد سفينة مشحونة مملوءة بالركاب ، فركب فيها ، حتى إذا كانت في عرض البحر ثقلت وأوشكت أن تغرق ، فاقترح ربانها إلقاء واحد من ركابها في البحر ، لتخف وينجو الباقي ، فساهموا ــ أي اقترعوا ــ على ذلك فكانت القرعة على يونس ، وأُلقي في البحر ، ليلتقمه حوت عظيم ، لبث في بطنه أياماً لا يعلمها إلا الله ، وفي هذا الكرب والضيق والظلمات المتراكمة : ظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ، وظلمة الليل ، نادى يونس ربه : ﴿ **أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ﴾ [1] فاستجاب الله له ونجاه من الغم ، فلفظه الحوت على الساحل ، ونبذ بالعراء ، وهو سقيم ، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وأرسله إلى قوم آخرين ، فآمنوا فمتعهم الله إلى حين .

ــ والشاهد هنا : أن الله يحذر خاتم رسله محمد ﷺ من الاستجابة إلى داعي الغضب ، الذي قاد يونس إلى ما قصه الله عليه ، وجر عليه من البلاء ما جر ، وإنما عليه أن يصبر لحكم ربه ، ويثبت على دعوته ويتحمل أعباء رسالته ، ولا يندفع وراء انفعالاته ، وإنما ينتظر أمر مولاه ويترقب في النهاية نصر ربه .

---

[1] سورة الأنبياء : آية : ٨٧ .

٣ـ **شدة الحزن والضيق :**

فليسُ أشد على نفس المرء المخلص لدعوته من الإعراض عنه والاستعصاء عليه ، فضلاً عن المكر به ، والإيذاء له ، والافتراء عليه وفي هذا يقول الله لرسوله : ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون** ﴾[1] ثم يؤنسه بأنه في معيته سبحانه ورعايته فيقول : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[2] .

ـ فالإيمان والكفر والهدى والضلال ، كلها واقعة في الوجود بمشيئة الله تعالى لهذا الكون ، وأجرى بها أقداره ، ولا يستطيع الإنسان أن يجلبها لمن أحب ويدفعها عنه ، وإنما عليه التذكير والنصيحة والبيان والبلاغ وهذا تعليم للدعاة إلى الله وتنبيه لهم إلى أن تقوم الساعة .

٤ـ **اليأس :**

ـ اليأس من أعظم عوائق الصبر ، فإن اليائس لا صبر له ، لأن الذي يدفع الزارع إلى معاناه مشقة الزرع وسقيه وتعهده ، هو أمله في الحصاد ، فإذا غلب اليأس على قلبه ، وأطفأ شعاع أمله ، لم يبق له صبر على استمرار العمل في أرضه وزرعه ، وهكذا كل عامل في ميدان عمله وصاحب الدعوة والرسالة كذلك ، فاليأس آفة الصبر الكبرى لأنها تطفئ سراج الأمل ، فيترك العبد العمل ، ويخلد إلى الكسل .

ـ ولهذا حرص القرآن الكريم والسنة المطهرة على غرس بذور الأمل

---

[1] سورة النحل : آية : ١٢٧ .

[2] سورة النحل : آية : ١٢٨ .

في نفوس المؤمنين : قال تعالى : ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾ [١] . ولما أمر موسى قومه بالصبر إزاء طغيان فرعون وتهديده ، أضاء أمامهم شعلة الأمل ، فقال : ﴿ **استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ [٢] .

ـ ولما شكا خباب بن الأرت إلى النبي ﷺ ما يلقى من أذى المشركين شكوى تحمل معنى الضيق والتبرم والاستعجال ، ضرب له النبي ﷺ مثلاً فقال : " **قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون** " [٣] .

فطرد ﷺ عن قلبه اليأس ، وزرع فيه الأمل الخصب ، حين أخبره أن الله سيتم هذا الأمر حتى يسير الراكب من أقصى الجزيرة إلى أقصاها لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه . وما ذلك إلا لأن الأمل أكبر معوان على الصبر على طول الطريق ومشقاته ، وأن اليأس من أعظم المعوقات عن الصبر .

---

[١] سورة آل عمران : آية : ١٣٩ : ١٤٠ .

[٢] سورة الأعراف : آية : ١٢٨ : ١٢٩ .

[٣] متفق عليه .

صبر أيوب

عليه السلام

ــ ما ذكر الصبر ، إلا وذكر أيوب عليه السلام ، ولقد قص الله تعالي لنا ما كان من أمره ليكون عظة لنا وعبرة ، وأسوة نتأسى بها .

ــ يقول الله تعالى : ﴿ **وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين** ﴾ [١] .

ــ ويقول جل شأنه : ﴿ **واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب** ﴾ [٢] .

ــ يقول علماء التفسير والتاريخ وغيرهم : كان أيوب رجلا كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه ، من الأنعام والعبيد والمواشي ، والأراضي المتسعة بأرض الثنية من أرض حوران ، وحكى ابن عساكر : أنها كلها كانت له ، وكان له أولاد وأهلون كثير .

ــ فسلب منه ذلك جميعه ، وابتلى في جسده بأنواع من البلاء لم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه ، يذكر الله عز وجل بهما ، وهو في ذلك كله صابر محتسب ، ذاكر لله عز وجل في ليله ونهاره وصباحه ومسائه

---

[١] سورة الأنبياء : آية : ٨٣ : ٨٤ .

[٢] سورة ص : آية : ٤١ : ٤٣ .

وطال مرضه حتى عافه الجليس ، وأوحش منه الأنيس ، وأخرج من بلده وألقى على مزبلة خارجها ، وانقطع عنه الناس ، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته ، كانت ترعى له حقه ، وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها ، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه ، وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته ، وضعف حالها وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر ، لتطعمه وتقوم بأوده ، رضى الله عنها وأرضاها ، وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد ، وما يختص بها من المصيبة بالزوج ، وضيق ذات اليد وخدمة الناس ، بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة .

ـ وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : " **أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل** " **وقال** : " **يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه** " [1] .

ـ ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام إلا صبراً واحتساباً وحمداً وشكراً حتى إن المثل ليضرب بصبره عليه السلام ، ويضرب المثل أيضاً بما حصل له من أنواع البلايا .

ـ وعن مجاهد أنه قال : كان أيوب عليه السلام أول من أصابه الجدري واختلفوا في مدة بلواه على أقوال : فزعم وهب أنه ابتلى ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص ، وقال أنس : ابتلى سبع سنين وأشهرا ، وألقى على مزبلة لبنى إسرائيل تختلف الدواب في جسده حتى فرج الله عنه وأعظم

---

[1] رواه أحمد والحاكم والدارمى .

له الأجر وأحسن الثناء عليه ، وقال حميد : مكث في بلواه ثماني عشرة سنة : وقال السدى : تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته ، فلما طال عليها : قالت : يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك ، فقال : قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهل قليل لله أن أصبر له سبعين سنة ؟ فجزعت من هذا الكلام وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام .

ـ ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها ، لعلمهم أنها امرأة أيوب خوفاً أن ينالهم من بلائه أو تعديهم بمخالطته ، فلما لم تجد أحداً يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير فأتت به أيوب ، فقال : من أين لك هذا ؟ وأنكره ، فقالت : خدمت به أناساً ، فلما كان الغد لم تجد أحداً فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به فأنكره وحلف ألا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام ؟ فكشفت عن رأسها خمارها ، فلما رأى رأسها محلوقاً قال في دعائه رب :﴿ **أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾ .

ـ وعن أنس بن مالك : أن النبي ﷺ قال : " إن نبي الله أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد ، إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له ، كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه : تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين ، قال صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به ، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب لا أدرى ما تقول ؟ غير أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على

الرجلين يتنازعان ، فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما ، كراهية أن يذكر الله إلا في حق .

قال : وكان يخرج في حاجته ، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه ، فأوحى الله تعالى إلى أيوب في مكانه : أن ﴿ **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب** ﴾ فاستبطأته فتلقته تنظر ، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء ، وهو أحسن ما كان ، فلما رأته قالت :أي بارك الله فيك ، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى ؟ فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً قال : فإني أنا هو !!

قال : وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير ، فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق ، أي الفضة ، حتى فاض" [١] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثى في ثوبه ، فناداه ربه عز وجل : يا أيوب ، ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لا غنى لي عن بركتك** " [٢] .

ـ وقوله تعالى : ﴿ **اركض برجلك** ﴾ أي اضرب الأرض برجلك فامتثل ما أمر به ، فأنبع الله له عيناً باردة الماء ، وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها ، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى ، والسقم

---

[١] رواه ابن أبى حاتم .

[٢] رواه البخاري .

والمرض الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً ، وأبدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة ، وجمالاً تاماً ومالاً كثيراً ، حتى صب له من المال صباً ، مطراً عظيماً جراداً من ذهب .

ـ وأخلف الله له أهله ، كما قال تعالى : ﴿ **وآتيناه أهله ومثلهم معهم** ﴾ فقيل أحياهم الله بأعيانهم ، وقيل آجره فيمن سلف ، وعوضه عنهم في الدنيا بدلهم وجمع له شمله بكلهم في الدار الآخرة ، وقوله : ﴿ **رحمة من عندنا** ﴾ أي رفعنا عنه شدته ، وكشفنا ما به من ضر ، رحمة منا ورأفة وإحساناً . ﴿ **وذكرى للعابدين** ﴾ أي تذكرة لمن ابتلى في جسده أو ماله أو ولده ، فله أسوة بنبي الله أيوب ، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه .

ـ قال الله تعالى : ﴿ **سيجعل الله بعد عسر يسراً** ﴾ [١] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً** ﴾ [٢] .

ـ وكم قص سبحانه من قصص تفريج كربات أنبيائه عند تناهى الكرب ! ليكونوا لنا عظة وعبرة ، وأسوة نتأسى بها ، وتسلية للمؤمنين وتثبيتاً لقلوبهم في مواجهة البلاء والفتن ، كإنجاء نوح ومن معه في الفلك وإنجاء إبراهيم من النار ، وفدائه لولده الذي أُمر بذبحه ، وإنجاء موسى وقومه من اليم ، وإغراق عدوهم ، وقصص يونس ، وقصص محمد ﷺ مع أعدائه ، وإنجائه منهم ، كقصته في الغار ، ويوم بدر ، ويوم أُحد ويوم الأحزاب ، ويوم حنين ، وغير ذلك .

---

[١] سورة الطلاق : آية : ٧ .

[٢] سورة الانشراح : آية : ٥ : ٦ .

نصف الإيمان الثاني

الشكر

ــ **معنى الشكر** : الشكر هو الثناء على المنعم بما أوكله من معروف .
ــ وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان لا يكون شكراً إلا بمجموعها وهي الاعتراف بالنعمة باطناً ، والتحدث بها ظاهراً ، والاستعانة بها على طاعة الله ، فالشكر يكون بالقلب ، واللسان ، والجوارح .
ــ **أما بالقلب** ، فهو أن يقصد الخير ، ويضمره للخلق كافة .
ــ **وأما باللسان** ، فهو إظهار الشكر لله بالتحميد .
ــ روى أن رجلين من الأنصار التقيا : فقال أحدهما لصاحبه : كيف أصبحت ؟ فقال : الحمد لله . فقال النبي ﷺ : " قولوا هكذا " .
ــ وروى أن رجلاً سلم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فرد عليه ثم قال له عمر : كيف أصبحت ؟ قال : أحمد الله ، فقال عمر ذاك الذي أردت . وقد كان السلف يتساءلون ، ومرادهم استخراج الشكر لله ، فيكون الشاكر مطيعا ، والمستنطق مطيعاً .
ــ وقال أبو عبد الرحمن الحبلى : أن الرجل إذا سلم على الرجل ، وسأله كيف أصبحت ؟ فقال له الآخر : أحمد الله إليك ، قال : يقول الملك الذي عن يساره للذي عن يمينه : كيف تكتبها ؟ قال : أكتبه من الحامدين . فكان أبو عبد الرحمن إذا سئل : كيف أصبحت ؟ يقول : أحمد الله إليك وإلى جميع خلقه .

ـ **وأما الشكر بالجوارح** ، فهو استعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته ، فمن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم ، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه ، فهذا يدخل في جملة شكر هذه الأعضاء .

ـ قال رجل لأبى حازم : ما شكر العينين يا أبا حازم ؟ فقال : إن رأيت بمهما خيراً أعلنته وإن رأيت بهما شراً سترته ، قال فما شكر الأذنين ؟ قال : إن سمعت بهما خيراً وعيته ، وإن سمعت بهما شرا دفعته ، قال فما شكر اليدين ؟ قال لا تأخذ بهما ما ليس لهما ، ولا تمنع حقا لله هو فيهما ، قال فما شكر البطن ؟ قال : أن يكون أسفله طعاماً ، وأعلاه علماً قال فما شكر الفرج ؟ قال : قال الله ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ [1] قال فما شكر الرجلين ؟ قال إن علمت ميتاً تغبطه استعملت بهما عمله وإن مقته رغبت عن عمله وأنت شاكر لله .

ـ وقال بعضهم : الشكر أن لا يستعان بشيء من النعم على معصيته .

ـ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لينظر العبد في نعم الله عليه في بدنه وسمعه وبصره ويديه ورجليه وغير ذلك ، وليس من هذا شئ ، إلا وفيه نعمة من الله عز وجل حق على العبد أن يعمل بالنعمة التى هي في بدنه لله عز وجل في طاعته ، ونعمة أخرى في الرزق حق عليه أن يعمل لله عز وجل فيما أنعم عليه من الرزق في طاعته ، فمن عمل بهذا كان قد أخذ بحزم الشكر وأصله وفرعه .

---

[1] سورة المعارج : آية : ٢٩ : ٣١ .

فضيلة الشكر

من نصوص القرآن الكريم

ـ اعلم أخي المسلم أن الله تعالى قد قرن ذكره الذي هو المراد من الخلق بشكره وكلاهما هو المراد بالخلق فقال تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾ [1] .

ـ وقد قرن الله عز وجل الشكر بالإيمان ، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال تعالى : ﴿ **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم** ﴾ [2] أي إن وفيتم ما خلقتم له وهو الشكر والإيمان فما أصنع بعذابكم .

ـ وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده فقال تعالى : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾ [3] .

ـ وقسم الناس إلى شكور وكفور ، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله ، فقال تعالى : ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** ﴾ [4] .

ـ وقال نبيه سليمان : ﴿ **هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم** ﴾ [5] .

---

[1] سورة البقرة : آية : ١٥٢ .
[2] سورة النساء : آية : ١٤٧ .
[3] سورة الأنعام : آية : ٥٣ .
[4] سورة الإنسان : آية : ٣ .
[5] سورة النمل : آية : ٤٠ .

ـ وعلق سبحانه المزيد بالشكر ، والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره فقال تعالى : ﴿ **وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** ﴾ [١] .

ـ وقد وقف سبحانه كثيراً من الجزاء على المشيئة كقوله تعالى : ﴿ **فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء** ﴾ [٢] .

ـ وقال في الإجابة : ﴿ **فيكشف ما تدعون إليه إن شاء** ﴾ [٣] .

ـ وقال في الرزق : ﴿ **يرزق من يشاء** ﴾ [٤] .

ـ وقال في التوبة : ﴿ **ويتوب الله على من يشاء** ﴾ [٥] .

ـ وأطلق جزاء الشكر إطلاقاً فقال تعالى : ﴿ **وسنجزي الشاكرين** ﴾ [٦] وقال تعالى : ﴿ **وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ [٧] .

ـ ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجل المقامات وأعلاها ، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال : ﴿ **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾ [٨] .

---

[١] سورة إبراهيم : آية : ٧ .

[٢] سورة التوبة : آية : ٢٨ .

[٣] سورة الأنعام : آية : ٤١ .

[٤] سورة البقرة : آية : ٢١٢ .

[٥] سورة التوبة : آية : ١٥ .

[٦] سورة آل عمران : آية : ١٤٥ .

[٧] سورة آل عمران : آية : ١٤٤ .

[٨] سورة الأعراف : آية : ١٧ .

ــ ووصف سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من عباده فقال تعالى : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ [1] .

ــ وقد أخبر سبحانه أنما يعبده من شكره فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال تعالى : ﴿ **واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ [2] .

ــ وأخبر سبحانه أن رضاه في شكره فقال تعالى : ﴿ **وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾ [3] .

ــ وأثنى سبحانه على خليله إبراهيم بشكر نعمه فقال : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم** ﴾ [4] .

ــ فأخبر عنه سبحانه بأنه أمة ، أي قدوة يؤتم به في الخير ، وأنه قانت لله ، والقانت هو المطيع المقيم على طاعته ، والحنيف هو المقبل على الله ، المعرض عما سواه ، ثم ختم له بهذه الصفات بأنه شاكر لأنعمه فجعل الشكر غاية خليله .

ــ وأخبر سبحانه أن الشكر هو الغاية من خلقه ، بل هو الغاية التي خلق عبيده لأجلها فقال تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ [5] .

---

[1] سورة سبأ : آية : ١٣ .

[2] سورة البقرة : آية : ١٧٢ .

[3] سورة الزمر : آية : ٧ .

[4] سورة النحل : آية : ١٢٠ : ١٢١ .

[5] سورة النحل : آية : ٧٨ .

فضيلة الشكر

من نصوص السنة

ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **ينادى يوم القيامة ليقم الحمّادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة** " **قيل : ومن الحمّادون ؟ قال :** " **الذين يشكرون الله تعالى على كل حال** " وفي لفظ آخر : " **الذين يشكرون الله على السراء والضراء** " [1] .

ـ وعن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إذا جمع الله الأولين والآخرين يجئ مناد فيناد بصوت يسمعه الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ، ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون ، وهم قليل ، ثم ينادى ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ، ثم ينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى في السراء والضراء فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس** " [2] .

ـ وروي أن سعيد بن جبير قال : أول من يدخل الجنة من يحمد الله تعالى في السراء والضراء .

---

[1] رواه الطبرانى وأبو نعيم في الحلية والبيهقى في الشعب .

[2] تنبيه الغافلين ص : ٢٠٧ .

ـ وعن أبو زهير يحيى بن عطارد القرشي عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا يرزق الله عبداً الشكر فيحرمه الزيادة** " [1] .

لأن الله تعالى يقول : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ [2] .

ـ وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " **ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ** " [3] .

ـ قال ابن رجب : إن المراد بالنعم : النعم الدنيوية كالعافية والرزق والصحة ، ودفع المكروه ، ونحو ذلك ، والحمد هو من النعم الدينية وكلاهما نعمة من الله لكن نعمة الله على عبده بهدايته لشكر نعمه بالحمد عليها أفضل من نعمه الدنيوية على عبده ، فإن النعم الدنيوية إن لم يقترن بها الشكر كانت بلية ، كما قال أبو حازم : " كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية " .

ـ وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال : " **ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر الله له قبل أن يستغفره وإن الرجل يشترى الثوب بالدينار فيلبسه فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له** " [4] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **الطاعم الشاكر كالصائم الصابر** " [5] .

---

[1] رواه ابن أبى الدنيا في كتاب الشكر .

[2] سورة إبراهيم : آية : ٧ .

[3] رواه ابن ماجة .

[4] رواه الطبرانى في الكبير والأوسط .

[5] رواه الترمذى .

ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها** " [١] فكان هذا الجزاء العظيم الذي هو أكبر أنواع الجزاء كما قال تعالي : **﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾** [٢] في مقابلة شكره بالحمد .

ـ وقال محمد بن كعب : كان نوح إذا أكل قال الحمد لله ، وإذا شرب قال الحمد لله ، وإذا لبس قال الحمد لله ، وإذا ركب قال الحمد لله ، فسماه الله عبداً شكورا .

ـ وعن جابر رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ : " **ما أنعم الله تعالى على عبده من نعمة فقال : الحمد لله إلا أدى شكرها ، فإن قالها الثانية جدد الله له ثوابها ، فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه** " [٣] .

ـ وعن عبد الله بن غنام رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " **من قال حين يصبح : اللهم ! ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قالها حين يمسي ، أدى شكر ليلته** " [٤] .

ـ وقال النبي ﷺ لمعاذ : : " **والله إني لأحبك فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** " [٥] .

---

[١] رواه مسلم .

[٢] سورة التوبة : آية : ٧٢ .

[٣] رواه الحاكم والبيهقى .

[٤] رواه أبو داود والنسائي .

[٥] رواه أبو داود والنسائي وأحمد وابن حبان والترمذى .

الآثار الواردة عن

الصحابة في فضيلة الشكر

ـ الشكر قيد النعم وسبب المزيد ، كما قال عمر بن عبد العزيز : قيدوا نعم الله بشكر الله .

ـ وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال لرجل من همذان إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر يتعلق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد .

ـ وقال الحسن البصري : إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء ، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذاباً ، ولهذا كانوا يسمون الشكر " الحافظ " لأنه يحفظ النعم الموجودة ، " والجالب " لأنه يجلب النعم المفقودة .

ـ وقال سهم بن سلمة : حدثت أن الرجل إذا ذكر اسم الله على أول طعامه وحمده على آخره لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام .

ـ وقال الشعبي : الشكر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله .

ـ وقال الحسن : " إذا أنعم الله على قوم سألهم الشكر فإذا شكروه كان قادراً على أن يزيدهم ، وإذا كفروه كان قادراً على أن يبعث نعمته عليهم عذاباً " وقد نعم الله سبحانه الكنود وهو الذي لا يشكر نعمه ، قال الحسن " إن الإنسان لربه لكنود ، يعد المصائب وينسى النعم " .

وقد أخبر النبي ﷺ إن النساء أكثر أهل النار بهذا السبب ، قال " لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً

قط " [1] فإذا كان هذا بترك شكر نعمة الزوج وهى في الحقيقة من الله فكيف بمن ترك شكر نعمة الله .

ـ وقال أبو المليح قال موسى يارب ما أفضل الشكر ؟ قال أن تشكرني على كل حال .

ـ وقال بكر بن عبد الله قلت لأخ لي أوصني ، فقال ما أدرى ما أقول غير أنه ينبغي لهذا العبد أن لا يفتر من الحمد والاستغفار ، فإن ابن آدم بين نعمة وذنب ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر ، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار فأوسعني علماً ما شئت .

ـ وروى عن أحد التابعين رضى الله تعالى عنه أنه قال : من تظاهرت عليه النعم فليكثر ذكر الحمد لله ، ومن كثرت همومه فعليه بالاستغفار ومن ألح عليه الفقر فليكثر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ـ وقال وهب : عبد الله عابد خمسين عاماً فأوحى الله إليه إني قد غفرت لك ، قال أي رب وما تغفر لي ولم أذنب ؟ فأذن الله لعرق في عنقه يضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن فنام ، ثم أتاه ملك فشكا إليه ما لقي من ضربات العرق ، فقال الملك : إن ربك يقول إن عبادتك خمسين سنة تعدل سكون العرق .

ـ وعن أبى الخلد قال : قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال " أي رب " كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك ؟ قال : فأتاه الوحي أن : يا داود ! أليس تعلم أن الذي بك من النعم مني ؟ قال : بلى يارب ! قال : فإني أرضى بذلك شكراً .

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ومالك في الموطأ .

ـ وعن أبى خلد قال : قال موسى يارب ! كيف لي أن أشكرك ؟ وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يُجازي بها عملي كله . قال فأتاه الوحي : يا موسى الآن شكرتني .

ـ وقال بكر بن عبد الله المزني : ينزل بالعبد الأمر فيدعو الله فيصرف عنه فيأتيه الشيطان فيضعف شكره ، يقول إن الأمر كان أيسر مما تذهب إليه ، قال أولا يقول العبد كان الأمر أشد مما أذهب إليه ، ولكن الله صرفه عني .

ـ وقال عبد العزيز بن أبى داود رأيت في يد محمد بن واسع قرحة فكأنه رأى ما شق عليّ منها ، فقال لي أتدرى ماذا لله علي في هذه القرحة من نعمة حين لم يجعلها في حدقتي ولا طرف لساني ولا على طرف ذكرتى ، فهانت على قرحته .

ـ ودخل رجل على سهل بن عبد الله فقال : دخل اللص بيتي وأخذ متاعي ، فقال اشكر الله تعالى ، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد إيمانك ماذا كنت تصنع ؟

ـ وقال شريح : ما أصيب عبد بمصيبة إلا كان لله فيها ثلاث نعم : ألا تكون كانت في دينه ، وألا تكون أعظم مما كانت ، وأنها لا بد كائنة فقد كانت .

ـ وقال ابن يزيد : إنه ليكون في المجلس الرجل الواحد يحمد الله عز وجل فيقضى لذلك المجلس حوائجهم كلهم ، قال وفي بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى أنه قال : سروا عبدي المؤمن ، فكان لا يأتيه شئ إلا قال الحمد لله ما شاء الله ، قال روعوا عبدي المؤمن ، فكان لا يطلع

عليه طليعة من طلائع المكروه إلا قال الحمد لله ، الحمد لله ، فقـــال الله تبارك وتعالي : إن عبدي يحمدني حين روعته كما يحمدني حين ســررته أدخلوا عبدي دارعزى كما يحمدني على كل حالاته .

ـ وقال ابن القيم رحمه الله : " الحمد لله " نعمه من نعم الله والنعمة التـي حمد الله عليها أيضا من نعم الله ، وبعض النعم أجل من بعض ، فنعمـــة الشكر أجل من نعمة المال والجاه والولد والزوجة ونحوها .

ـ فإذا وفق الله عبده للشكر على نعمه الدنيوية بالحمد كانت نعمة الحمـد خيراً وأفضل من تلك النعم ، وأحب إلى الله تعالى .

ـ وقال خالد بن معدان : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : مـا قـال عبد كلمة أحب إلى الله وأبلغ في الشكر عنده من أن يقـول : الحمـد لله الذي أنعم علينا وهدانا للإسلام .

ـ وقال على بن الجعدي سمعت سفيان الثوري يقـول : إن داود عليـه الصلاة والسلام قال : الحمد لله حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلالـه فأوحى الله إليه : يا داود أتعبت الملائكة .

ـ وعن أبي نصر التمار محمد بن النضر رحمه الله تعالى قال : قال آدم يارب شغلتني بكسب يدي ، فعلمني شيئاً فيه مجـامع الحمـد والتسـبيح فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : يا آدم إذا أصبحت فقل ثلاثاً وإذا أمسيت فقل ثلاثاً : الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكـافئ مزيـده [1] فذلك مجامع الحمد والتسبيح .

---

[1] معنى يوافى نعمه : أي يلاقيها فتحصل معه ، ويكافئ مزيده : أي يساوى مزيده .

بيان أن الشكر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى

ـ اعلم : أن فعل الشكر وترك الكفران ، لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى ، إذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ، ومعنى الكفران نقيض ذلك ، إما بترك الاستعمال ، أو استعماله فيما يكرهه .

ـ ولتمييز ما يحبه الله مما يكرهه مدركان [1] :

ـ أحدهما : السمع ، ومستنده الآيات .

ـ والثاني : بصيرة القلب ، وهو النظر بعين الاعتبار ، وهذا الأخير عسير عزيز ، ولذلك أرسل الله تعالى الرسل ، وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تبنى على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العبد فمن لا يطلع على حكم الشرع في جميع أفعاله ، لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً .

ـ وأما الثاني : وهو النظر بعين الاعتبار ، فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه ، إذ ما خلق الله تعالى شيئاً في العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود ، وذلك المقصود هو المحبوب ، وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية .

ـ **أما الجلية** ، فكالعلم بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل الليل والنهار ، فيكون النهار معاشاً والليل سباتاً ، فتتيسر الحركة عند الإبصار

---

[1] منهاج القاصدين ص : ٢٤٤ .

والسكون عند الاستتار ، فهذا من جملة حكم الشمس ، لا كل الحكمة فيها وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الأمطار .

ــ وأما الحكمة في خلق الكواكب ، فخفية لا يطلع عليها كل الخلق ، وقد يطلعون على بعض ما فيها من الحكم ، نحو كونها زينة للسماء ، وجميع أجزاء العالم لا تخلو منه ذرة عن حكمة ، وكذلك أعضاء الحيوان ، منها ما تبين حكمته بياناً ظاهراً ، كالعلم بأن العين للإبصار ، واليد للبطش والرجل للمشي .

ــ فأما الأعضاء الباطنة ، كالمرارة ، والكلية والكبد ، وآحاد العروق والأعصاب وما فيها من التجاويف والرقة والغلظة ، فلا يعرف الحكمة فيها كل الناس ، والذين يعرفونها إنما يعرفون منها قدراً يسيراً بالنسبة إلى علم الله تعالى ، فكل من استعمل شيئاً في جهة غير الجهة التي خلق لها ذلك الشيء على غير الوجه الذي أريد به ، فقد كفر نعمة الله تعالى فيه ، فمن ضرب غيره بيده بغير حق ، فقد كفر نعمة الله تعالى في اليد لأنها خلقت ليدفع بها عن نفسه ما يؤذيه ، ويتناول ما ينفعه ، لا ليؤذى بها غيره . وكذلك العين إذا نظر بها إلى محرم ، فقد كفر نعمتها ونعمة الشمس أيضاً ، إذ الإبصار يتم بها ، فالعين والشمس خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ، ويقي بهما ما يضره فيهما .

ــ واعلم : أن المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها ، أن يستعين بها الخلق على الوصول إلى الله تعالى ، ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا ، والتجافي عن غرور الدنيا ، ولا أنس إلا بدوام

الذكر ، ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ، ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن ، ولا يبقى البدن إلا بالأرض والماء والهواء ، ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق جميع الأعضاء الباطنة والظاهرة ، وكل ذلك لأجل البدن ، والبدن مطية النفس والراجع إلى الله هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [1] فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة الله ، فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لابد منها ، لإقدامه على تلك المعصية .

ـ ولنذكر مثالاً واحداً للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء ، حتى يعتبر بها ، ويعلم طريق الشكر والكفران على النعم ، فنقول : من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير اللذين بهما قوام الدنيا ، وهما حجران لا منفعة في أعينهما ، ولكن يضطر الخلق إليهما ، من حيث كل إنسان يحتاج إلى أعيان كثيرة ، في مطعمه ، ومشربه ، وملبسه ، ومركبه وسائر حاجاته ، وقد يعجز عما يحتاج إليه ، ويملك ما يستغني عنه كمن يملك قدراً من الزعفران مثلاً وهو يحتاج إلى جمل يركبه ، وآخر يملك الجمل ، وربما استغنى عنه ، ويحتاج إلى الزعفران ، فلابد بينهما من معاوضة ، ولابد في مقدار العوض من تقدير ، إذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ، ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يعطى مثله في الوزن والصورة .

---

[1] سورة الذاريات : آية : ٥٦ .

ـ وكذا من يشترى داراً بثياب ، أو عبداً بخف ، أو دقيقاً بحمار ، فهذه الأشياء لا تناسب بينهما ، فخلق الله تعالى الدراهم والدنانير ، حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال ، حتى تقدر بهما ، فيقال : هذا الجمل يساوى مائة ، وهذا القدر من الزعفران يساوى مائة ، فحصل التساوي بينهما حينئذ ، وإنما أمكن التعديل بينهما بالنقدين ، إذ لا غرض في أعيانهما ، فإنه لو كان في أعيانهما غرض لم ينتظم الأمر ، فخلقهما الله لتتداولهما الأيدي ، ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل ، وجعلهما عزيزين في أنفسهما ، ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة ، فمن ملكهما ، فكأنه ملك كل شئ .

إذا عرفت حكمتهما ، فكل من عمل فيهما عملاً يخالف المقصود منهما ولا يليق بحكمتهما ، فقد كفر نعمة الله فيهما ، فمن كنزهما فقد أبطلهما وأبطل الحكمة فيهما ، وكان كمن حبس الحاكم بين المسلمين في سجن يمتنع من الحكم بسببه ، لأنه ضيعهما ومنع الأيدي من تداولهما .

ـ قال تعالى : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ [1] .

ـ وكل من اتخذ الدراهم والدنانير آنية ، فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما لأنه أسوأ حالاً ممن كنزهما .

ـ ومثال ذلك من استعمل حاكم البلد في الحياكة والكنس والأعمال التي يقوم بها أخس الناس ، وذلك أن الحديد والنحاس والخزف وغيرهم يقوم مقام الذهب والفضة في حفظ المائعات ، ولا تكفى تلك الأعيان عنهما

---

[1] سورة التوبة : آية : ٣٤ .

ولا يقوم مقامهما فيما أريد بهما من كونهما قيم الأشياء ، فمن لم تنكشف له هذه الحكمة بالرحمة الإلهية قيل له : " من شرب في إناء ذهب أو فضة ، فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم " [١] وكذلك كل من عامل بالربا في الدراهم والدنانير ، فقد أخرجهما عن مقصودهما ، فهذا مثال لحكمة خفية من حكم النقدين .

ـ فينبغي أن تعتبر شكر النعمة وكفرها بهذا المثال في غيره من جميع أمورك ، في حركتك ، وسكونك ، ونطقك ، وسكوتك ، في كل فعل صادر منك ، إما شكراً أو عكسه ، وهو الكفر ، وبعض ذلك تصفه بالكراهة ، وبعضه بالحظر .

ـ ومن ذلك أن الله تعالى خلق لك يدين ، وجعل إحداهما أقوى من الأخرى ، فاستحقت بمزيد القوة رجحاناً وشرفاً على الأخرى ، وقد أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال ، بعضها شريفة ، كأخذ المصحف وبعضها خسيسة ، كإزالة النجاسة ، فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين ، فقد عكست المقصود ، وخصصت الشريف بما هو خسيس فظلمته .

ـ وكذلك نقول ، من كسر غصناً من شجرة لغير حاجة مهمة وغرض صحيح ، فقد خالف الحكمة في خلق الأشجار ، لأنها خلقت للمنفعة بها فإن كان كسره لغرض صحيح ، فلا بأس ، وإن فعل ذلك في ملك غيره فهو ظالم ، وإن كان محتاجاً ، إلا أن يأذن صاحبه .

---

[١] متفق عليه من حديث أم سلمة .

بيان النعم

وحقيقتها وأقسامها

ـ اعلم : أن كل مطلوب يسمى نعمة ، ولكن النعمة في الحقيقـــة هـــي السعادة الأخروية ، وتسمية ما عداها نعمـــة تجـــوز ، والأمـــور كلـــها بالإضافة إلينا تنقسم أربعة أقسام : **أحدها** : ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعاً ، كالعلم ، وحسن الخلق وهو النعمة الحقيقية .

ـ **الثاني** : ما هو ضار فيهما جميعاً ، وهو البلاء حقيقة .

ـ **القسم الثالث** : ما ينفع في الحال ، ويضر في المآل كالتلذذ ، واتبـاع الشهوات ، فهو بلاء عند ذوى الأبصار ، والجاهل يظنه نعمة .

ـ ومثاله : الجائع إذا وجد عسلاً فيه سم ، فإنه يعده نعمة إن كان جـاهلاً فإذا علم ذلك عده بلاًء .

ـ **القسم الرابع** : الضار في الحال ، النافع في المآل ، وهو نعمة عنـــد ذوى الألباب ، بلاء عند الجهال . ومثاله : الدواء الشنيع مذاقه في الحال الشافي في المآل من الأسقام ، فالصبي الجاهل ، إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ، وكذلك إذا احتاج الصبي إلى الحجامة ، فـــإن الأب يدعوه إليها ويأمره بها ، لما يلحظ في عاقبتها من الشفاء ، والأم تمنعـــه من ذلك لفرط حبها وشفقتها لكونها جاهلة بالمصلحة في ذلك ، فـالصبي يتقلد منة أمه بجهله ، ويأنس إليها دون أبيه ، ويقدر أباه عدواً ، ولو عقل لعلم أن الأم هي العدو الباطن في صورة صديق ، لأن منعها إيـــاه مـــن الحجامة يسوقه إلى أمراض أشد من ألم الحجامة ، فالصديق الجاهل شـر من العدو العاقل وكل إنسان صديق نفسه ، ولكن النفس صديق جـــاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل العدو .

بيان كثرة نعم الله تعالى

وخروجها عن الحصر والإحصاء

ـ اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هو غاية مطلوبة لذاتها ، وإلى ما هو مطلوب لأجل الغاية .

ـ أما الغاية فهي سعادة الآخرة ، ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقاء لا فناء له ، وسرور لا غم فيه ، وعلم لا جهل معه ، وغنى لا فقر بعده وهي السعادة الحقيقية .

ـ وأما القسم الثاني : فهو الوسائل إلى السعادة المذكورة ، وهي أربعة أقسام :

ـ أعلاها : فضائل النفس ، كالإيمان ، وحسن الخلق .

ـ الثاني : فضائل البدن ، من القوة والصحة ونحوهما .

ـ الثالث : النعم المطيفة بالبدن ، من المال والأهل .

ـ الرابع : الأسباب التي جمع بينها وبين ما يناسب الفضائل ، من الهداية والإرشاد ، والتسديد ، والتأييد ، وكل هذه نعم عظيمة .

ـ وهذا الذي رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر من نعم الله تعالى وجملة ما عرفنا وعرفه الخلق كلهم من نعم الله تعالى بالإضافة إلى ما لم يعرفوه ، أقل من قطرة في بحر .

ـ قال الله تعالى : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ [1] .

---

[1] سورة إبراهيم : آية : ٣٤ ، والنحل : آية : ١٨ .

ـ فلو أردنا مثلاً أن نستقصي صحة البدن وهي نعمة واحدة من النعم الواقعة في الرتبة الثانية ، لم نقدر عليها ، ولكن الأكل أحد أسباب الصحة ، فلنذكر شيئاً من جملة الأسباب التي يتم بها الأكل على سبيل التلويح ، لا على سبيل الاستقصاء ، فنقول : من جملة نعم الله عليك أن خلق لك آلة الإحساس ، وآلة الحركة في طلب الغذاء ، فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في الحواس الخمس ، التي هي آلة للإدراك .

ـ فأولهما : حاسة اللمس ، وهو أول حس يخلق للحيوان ، وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ، فإن الإحساس بما يبعد منه أتم لا محالة ، فافتقرت إلي حس تدرك به ما بعد عنك ، فخلق لك الشم تدرك به الرائحة من بعد ، ولكن لا تدري من أي ناحية جاءت الرائحة فتحتاج أن تطوف كثيراً حتى تعثر على الذي شممت رائحته ، وربما لم تعثر ، فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك ، وتدرك جهته فتقصدها بعينها ، إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصاً ، إذ لا تدرك بذلك ما وراء الجدار والحجاب ، فربما قصدك عدو بينك وبينه حجاب ، وقرب منك قبل أن يكشف الحجاب ، فتعجز عن الهرب ، فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الحجرات عند جريان الحركات ، ولا يكفى ذلك ، لو لم يكن لك حس الذوق ، إذ به تعلم ما يوافقك وما يضرك بخلاف الشجرة ، فإنه يصب في أصلها كل مائع ، ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ، ثم أكرمك الله تعالى بصفة أخرى

وهي أشرف من الكل وهو العقل ، فبه تدرك الأطعمة ومنفعتها ، وما يضر في المآل ، وبه تدرك طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع به في الأكل الذي هو سبب صحتك ، وهو أدنى فوائد العقل والحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ، وما ذكرنا من الحواس الخمس الظاهرة ، فهي بعض الإدراكات ، ولا تظن أننا استوفينا شيئاً من ذلك فإن البصر واحد من الحواس ، والعين آلة له ، وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة : بعضها رطوبات ، وبعضها أغشية مختلفة ، لكل واحدة من الطبقات العشر ، صفة ، وصورة ، وشكل ، وهيئة ، وتدبير وتركيب ، لو اختلت طبقة واحدة منها أو صفة واحدة ، لاختل البصر وعجز عنه الأطباء كلهم ، فهذا في حس واحد ، وقس حاسة السمع وسائر الحواس ولا يمكن أن يستوفي ذلك في مجلدات فكيف ظنك بجميع البدن ؟!

ــ ثم انظر بعد ذلك في خلق الإرادة والقدرة ، وآلات الحركة من أصناف النعم ، وذلك أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الطعام ، ولم يخلق لك في الطبع شوق إليه وشهوة تستحثك على الحركة ، كان البصر معطلا ، فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له ، ولا يقدر على تناوله لسقوط شهوته ، فخلق لك الله شهوة الطعام وسلطها عليك كالمتقاضي الذي يضطرك إلى تناول الغذاء .

ــ ثم هذه الشهوة لو لم تسكن عند أخذ مقدار الحاجة من الطعام لأسرفت

وأهلكت نفسك ، فخلق لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها ، وكذلك القول في شهوة الوقاع لحكمة بقاء النسل .
ـ ثم خلق لك الأعضاء التي هي آلات الحركة في تناول الغذاء وغيره ومنها اليدان ، وهما مشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات وتمتد وتنثني ، ولا تكون كخشبة منصوبة .

ـ ثم جعل رأس اليد عريضاً ، وهو الكف ، وقسمه خمسة أقسام ، وهي الأصابع وجعلها مختلفة في الطول والقصر ، ووضعها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب ، ويدور على الأصابع البواقي ، ولو كانت مجتمعة متراكمة ، لم يحصل تمام الغرض ، ثم خلق لها أظافر ، وأسند إليها رؤوس الأصابع ، لتقوى بها ، ولتلتقط بها بعض الأشياء الدقيقة التي لا تحويها الأصابع ، ثم هب أنك أخذت الطعام باليد ، فلا يكفيك حتى يصل إلى باطنك ، فجعل لك الفم واللحيين ، خلقهما من عظمين وركب فيهما الأسنان ، وقسمها بحسب ما يحتاج إليه الطعام ، فبعضها قواطع كالرباعيات ، وبعضها يصلح للكسر كالأنياب ، وبعضها طواحن كالأضراس ، وجعل اللحى الأسفل متحركاً حركة دورية ، واللحى الأعلى ثابتاً لا يتحرك ، فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى ، وإن كل رحى صنعها الخلق يثبت منها الحجر الأسفل ويدور الأعلى ، إلا هذه الرحى التي هي صنع الله سبحانه وتعالى فإنه يدور منها الأسفل على الأعلى إذ لو دار الأعلى خوطر بالأعضاء الشريفة التي يحتوى عليها .

ـ ثم انظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان ، فإنه يطوف في جوانب الفم ، ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة ، كالمجرفة التي ترد الطعام إلي الرحى ، هذا مع فيه من عجائب قوة النطق .

ـ ثم هب أنك قطعت الطعام وعجنته وهو يابس ، فما تقدر على الابتلاع إلا بأن ينزلق إلى الحلق بنوع رطوبة .

ـ فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عيناً يفيض منها اللعاب وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام .

ـ ثم هذا الطعام المطحون المعجون من يوصله إلى المعدة وهو في الفم فإنه لا يمكن إيصاله باليد ، فهيأ الله تعالى المريء والحنجرة ، وجعل رأسها طبقات ينفتح لأخذ الطعام ، ثم ينطبق وينضغط حتى يقلب الطعام فيهوى في دهليز المريء إلى المعدة ، فإذا ورد الطعام إلى المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة ، فلا يصلح أن يصير لحماً وعظماً ودماً على هذه الهيئة حتى يطبخ طبخاً تاماً ، فجعل الله المعدة على هيئة قدر يقع فيها الطعام ، فتحتوى عليه وتغلق عليه الأبواب ، وينضج بالحرارة التي تتعدى إليها من الأعضاء الأربعة ، وهي الكبد من جانبها الأيمن والطحال من جانبها الأيسر ، والثرب [1] من أمامها ، ولحم الصلب من خلفها ، فينضج الطعام ويصير مائعاً متشابهاً يصلح للنفوذ في تجاويف العروق ، ثم ينصب الطعام من العروق إلى الكبد ، فيستقر فيها ريثما يصلح له نضج آخر . ثم يتفرق في الأعضاء ويبقى منه ثقل ثم يندفع . ولو استوفينا الكلام في ذلك لطال .

---

[1] الثرب : شحم رقيق يغطى الكرش والأمعاء .

ـ وفي الآدمي من العضلات والعروق ما لا يحصى ، مختلف بالصغر والكبر والدقة والغلظ ، ولا شئ منها إلا وفيه حكمة ، وكل ذلك من الله سبحانه ، ولو سكن من جملتها عرق متحرك ، أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين .

ـ فانظر إلى نعم الله تعالى عليك ، لتقوى على الشكر ، وهذا الذي رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر من نعم الله تعالى ، فقس على ذلك .

ـ ثم بعد ذلك انظر إلى الطعام الذي تأكله ، فإن لله تعالى في خلقه عجائب لا تحصى ، مثال على ذلك : إذا كان عندك شئ من الحنطة [1] فلو أكلتها لفنيت وبقيت جائعاً ، فما أحوجك إلى عمل ينمى به حب الحنطة ويتضاعف حتى يفي بتمام حاجتك ، وهو زرعها ، وهو أن تجعلها في أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالأرض فيصير طيناً ، ثم لا يكفى الماء والتراب ، إذ لو تركت في الأرض ندية صلبة ، لم تنبت لفقد الهواء ، فيحتاج إلى تركها في أرض متخلخلة يتغلغل الهواء فيها ، ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه ، فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء ، وتصرفه بقهر على الأرض حتى ينفذ فيها ، ثم كل ذلك لا يغنى ، فيحتاج إلى حرارة الربيع والصيف ، فإنه لو كان في البرد المفرط لم ينبت .

ـ ثم انظر إلى الماء الذي تحتاج إليه هذه الزراعة كيف خلقه الله تعالى ؟ فجر العيون وأجرى منها الأنهار ، ولما كان بعض الأرض

---

[1] الحنطة : القمح .

مرتفعاً لا يناله الماء ، أرسل إليها الغيوم ، وسلط عليها الرياح لتسوقها بإذنه إلى أقطار العالم ، وهي سحب ثقال ، ثم يرسله على الأرض مدراراً في وقت الحاجة .

ـ وانظر كيف خلق الله الجبال حافظة للماء ، تنفجر منها العيون تدريجاً فلو خرجت دفعة واحدة لغرقت البلاد وهلك الزرع وغيره .

ـ وانظر كيف سخر الشمس وخلقها ، مع بعدها عن الأرض ، مسخنة لها في وقت دون وقت ، ليحصل البرد عند الحاجة إليه ، والحر عند الحاجة إليه .

ـ وخلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب ، كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه بتقدير الحكيم الخبير ، وكل كوكب خلق في السماء ، فهو مسخر لنوع فائدة ، كما سخرت الشمس والقمر ولا يخلو كل واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر بإحصائها وكذلك الشمس والقمر ، فيهما حكم أخر غير ما ذكرنا لا تحصى .

ـ ولما كانت كل الأطعمة لا توجد في كل مكان ، سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم الحرص على جمع المال ، مع أنه لا يغنيهم في غالب الأمر شئ ، بل يجمعون الأموال ، فإما أن تغرق بها السفن أو تنتهبها قطاع الطرق ، أو يموتون في بعض البلاد ، فتأخذها السلاطين ، وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم ، وهم أشد أعدائهم لو عرفوا ، فانظر كيف سلط الله عليهم الأمل والغفلة ، حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح في ركوب البحار ، وركوب الأخطار ، فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك .

السبب الصارف للخلق

عن الشكر

ـ اعلم أخي المسلم : أن الخلق لم يقصروا عن شكر النعمة إلا للجهل والغفلة ، فإنهم منعوا بذلك عن معرفة النعم ، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول أحدهم بلسانه : الحمد لله ، والشكر لله فقط ، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن تستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها ، وهى طاعة الله تعالى

ـ وقد أشرنا سابقاً أن الشكر يجب أن يكون بالقلب ، واللسان والجوارح بالقلب : وذلك بأن يقصد الخير ويضمره للخلق كافة ، وأما باللسان بإظهار الشكر لله بالتحميد ، وأما بالجوارح : باستعمالها في طاعة الله تعالى .

ـ أما الغفلة عن النعم فلها أسباب .

ـ أحدها : أن الناس لجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق في جميع أحوالهم نعمة ، فلذلك لا يشكرون على جملة مما ذكرناه ، من النعم ، لأنها عامة للخلق ، مبذولة لهم في جميع أحوالهم ، فلا يرى واحد منهم اختصاصاً به ، فلا يعده نعمة ، فلا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ، ولو أخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ، ولو حبسوا في حمام أو بئر ماتوا غماً ، فإن ابتلى أحدهم بشي من ذلك ثم نجا ، قدر ذلك نعمة يشكر الله عليها ، وهذا غاية الجهل ، إذ صار شكرهم موقوفاً على أن تسلب عنهم النعمة ، ثم ترد إليهم في بعض الأحوال ، فالنعم في جميع

الأحوال أولى بالشكر ، فلا ترى البصير يشكر صحة البصر إلا أن يعمى ، فإذا أعيد بصره أحس بالنعمة وشكرها حينئذ وعدها نعمة ، وهو مثل عبد السوء يضرب دائماً ، فإذا ترك ضربه ساعة ، شكر وتقلد ذلك منة ، وإن ترك ضربه أصلاً ، غلبه البطر وترك الشكر ، فصار الناس لا يشكرون إلا على المال الذي يتطرق الاختصاص إليه من حيث الكثرة والقلة ، وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم .

ـ كما روى أن بعضهم شكا فقره إلى بعض أرباب البصيرة ، وأظهر شدة اغتمامه بذلك ، فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا ، قال : أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا ، قال : أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً ؟ قال : لا ، قال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا ، قال أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفاً .

ـ وعن بكر المزني قال : يا ابن آدم ! إن أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك فغمض عينيك .

ـ وعن وهب بن منبه قال : مكتوب في حكمة آل داود : " العافية الملك الخفي " .

ـ ودخل ابن السماك على الرشيد في عظة ، فبكى ثم دعا بماء في قدح فقال : يا أمير المؤمنين ! لو منعت هذه الشربة إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفديها بها ؟ قال : نعم ، قال : فاشرب رياً ، بارك الله فيك ، فلما شرب ، قال له : يا أمير المؤمنين ، أرأيت لو منعت إخراج هذه الشربة منك إلا بالدنيا وما فيها ، أكنت تفتدي ذلك ؟ قال : نعم

قال : فما تصنع بشيء شربة ماء خير منه !

ــ وهذا يبين أن نعمة الله تعالى على العبد في شربة الماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها ، ثم تسهيل خروج الحدث من أعظم النعم .

ــ قال ﷺ : " **من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا** " [١] .

ــ وفي الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخَلق ، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه** " وقد رواه الترمذى بلفظ آخر " **انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من فوقكم ، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم** " [٢] .

ــ فإن من اعتبر حال نفسه ، وفتش على ما خص به ، وجد لله تعالى عليه نعما كثيرة لا تعد ولا تحصى ، لا سيما من خص بالإيمان والقرآن ، والعلم ، والسنة ، والفراغ والصحة ، والأمن وغير ذلك .

ــ وقد روى في بعض الأحاديث : **من قرأ القرآن فهو غنى** " وفي لفظ " **القرآن غنى لا فقر بعده ، ولا غنى دونه** " [٣] .

ــ وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ** " [٤] .

---

[١] رواه الترمذى .

[٢] ورواه مسلم وفيه لفظ " فهو " بدلاً من " فإنه " .

[٣] رواه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس رضى الله عنه .

[٤] رواه البخاري والترمذى وابن ماجة . ومغبون أي مخدوع .

فإن قيل : فما علاج القلوب

الغافلة عن شكر نعم الله تعالى ؟

ـ فالجواب : أما القلوب المبصرة ، فتتأمل ما رمز إليه من أصناف نعم الله عز وجل ، وأما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة إلا إذا نزل بها البلاء ، فسبيل صاحبها أن ينظر أبداً إلى من دونه ، ويفعل ما كان يفعله بعض القدماء ، فإنه كان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع البلاء عليهم ، ثم يتأمل صحته وسلامته ، ويشاهد الجناة الذين يقتلون ، وتقطع أيديهم وأرجلهم ويعذبون ، فيشكر الله على سلامته من تلك العقوبات ويحضر المقابر ، فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ويؤذن لهم بأن يصلوا ركعتين أو يؤذن لهم أن يقولوا مرة لا إله إلا الله محمد رسول الله أو يؤذن لهم بتسبيحة واحدة فلا يؤذن لهم فيتعجبون من الأحياء أنهم يضيعون أيامهم في الغفلة والبطالة .

ـ قال حاتم الأصم رحمه الله تعالى : أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة قدر الشباب لا يعرفه إلا الشيوخ ، وقدر العافية لا يعرفه إلا أهل البلاء وقدر الصحة لا يعرفه إلا المرضى ، وقدر الحياة لا يعرفه إلا الموتى .

ـ وقال بعض الحكماء : إذا كنت صبياً تلعب مع الصبيان ، وإذا كنت شاباً غفلت باللهو ، وإذا كنت شيخاً صرت ضعيفاً فمتى تعمل لله تعالى .

ـ فينبغي للإنسان أن يعرف قدر حياته ويغتنم كل ساعة تأتى عليه ويقول لا أدرى كيف يكون حالي في ساعة أخرى ، ويقبل على طاعة

الله وشكره بأن يصرف بقية عمره إلى ما خلق لأجلـــه ، وهـــو الــتزود للآخرة .

ــ ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن يعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت .

ــ قال عمر بن عبد العزيز : قيدوا نعم الله بشكر الله .

ــ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لرجل من همـــذان إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر يتعلق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد [١] .

ــ قال الحسن البصري : إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء ، فإذا لـــم يشـــكر عليها قلبها عذاباً ، ولهذا كانوا يسمون الشكر " الحافظ " لأنه يحفظ النعـم الموجودة ، " والجالب " لأنه يجلب النعم المفقودة .

ــ وقال كعب : ما أنعم الله على عبد من نعمة فـــي الدنيـــا فشـــكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجــــة فـــي الأخرى ، وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا ، فلم يشـــكرها لله ولـــم يتواضع بها إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقات من النار يعذبــــه إن شاء أو يتجاوز عنه .

ــ وكان الفضيل رحمه الله تعالى يقول : عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم .

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر .

تسميته سبحانه بالصبور والشكور ولو لم يكن للصبر والشكر من الفضيلة إلا ذلك لكفى به

ـ من أسمائه الحسنى سبحانه الصبور : وهو من أمثلة المبالغة ، أبلغ من الصابر والصبار ، وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق ولا يماثله من وجوه متعددة منها أنه عن كمال قدرة ، وكمال علم وعظمة وعزة .

ـ عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : " **ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل يدعون له ولداً وهو يعافيهم ويرزقهم** " (١) .

ـ فصبره سبحانه متعلق بكفر العباد وشركهم ، والقدح في كماله وأسمائه وصفاته والإلحاد في آياته وتكذيب رسله عليهم السلام ومقابلتهم بالسب والشتم والأذى وتحريق أوليائه وقتلهم وإهانتهم ، وأنواع معاصيهم وفجورهم ، فهذه أمور لا يصبر عليه إلا الصبور ، حتى أن السماوات والأرض والجبال تهم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به الكفار والمشركون والفجار في مقابلة العظمة والجلال فيمسكهم سبحانه وتعالى بصبره وحلمه .

ـ قال تعالى : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمان ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمان ولداً** ﴾ (٢) .

ـ وقوله تعالى : ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ (٣) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .
(٢) سورة مريم : آية : ٨٨ : ٩١ .
(٣) سورة إبراهيم : آية : ٤٦ .

ـ ولا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة بل يصبر على عبده ويمهلـــه ويستصلحه ويرفق به ويحلم عنه حتى إذا لم يبق فيه موضع لصنيعة ولا يصلح على الإمهال والرفق والحلم ولا ينيب إلى ربه ويدخل عليـــه ، لا من باب الإحسان والنعم ولا من باب البلاء والنقم أخذه أخذ عزيز مقتـدر بعد غاية الإعذار إليه وبذل النصيحة له ودعائه إليه من كل باب ، وهـذا كله من موجبات صفة صبره سبحانه وهي صفة ذاتية له لا تزول .

ـ وأما تسميته سبحانه بالشكور :

ـ قال الله تعالى : ﴿ **وكان الله شاكراً عليماً** ﴾ [1] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **والله شكور حليم** ﴾ [2] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً** ﴾ [3] .

ـ فجمع لهم سبحانه بين الأمرين أن شكر سعيهم وأثابـــهم عليـــه ، والله تعالى يشكر عبده إذا أحسن طاعته ، ويغفر له إذا تاب عليـــه ، فيجمـــع للعبد بين شكره لإحسانه ومغفرته لإساءته إنه غفور شكور .

ـ وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر كشأن صبره ، فهو أولى بصفـــة الشكر من كل شكور ، بل هو الشكور على الحقيقة ، فإنه يعطي العبـــد ويوفقه لما يشكره عليه ، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يسـتقله أن يشكره ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفه ، ويشكر عبده

---

(1) سورة النساء : آية : ١٤٧ .

(2) سورة التغابن : آية : ١٧ .

(3) سورة الإنسان : آية : ٢٢ .

بقوله بأن يثنى عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى ، ويلقى لـــه الشــكر بين عباده ويشكره بفعله ، فإذا ترك له شيئاً أعطاه أفضل منه .

ـــ وإذا بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة ، وهو الذي وفقه للــترك والبذل وشكره على هذا وذاك .

ـــ ولما عقر نبيه سليمان الخيل غضباً له إذ شغلته عن ذكره ، فــأراد ألا تشغله مرة أخرى أعاضه عنها متن الريح ، ولما ترك الصحابة ديـــارهم وخرجوا منها في مرضاته أعاضهم عنها أن ملكهم الدنيا وفتحها عليهم .

ـــ ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزقـــها أعداؤه ، شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيراً خضراً أقر أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث ، فيردها عليهم أكمـــل ما تكون وأجمله وأبهاه ، ولما بذل رسله إعراضهم فيه لأعدائهم فنـــالوا منهم وسبوهم ، أعاضهم من ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته وجعـــل لهم أطيب الثناء في سمواته وبين خلقه فأخلصهم بخالصة ذكرى الدار .

ـــ ومن شكره أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلباً كان قد جـــهده العطــش حتى أكل الثرى ، وغفر لآخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين

ـــ فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه ، والمخلوق إنما يشكر من أحسن إليه ، وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه ، وشكره على قليله بالأضعاف المضاعفة التى لا نسبة لإحسان العبد إليها ، فهو المحسن بإعطاء الإحسان وإعطاء الشكر ، فمن أحـــق باسم الشكور منه سبحانه .

ـ وتأمل قوله تعالى : **﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً ﴾** [1] .

ـ كيف تجد في ضمن هذا الخطاب أن شكره تعالى يأبى تعذيب عباده سدى بغير جرم كما يأتى إضاعة سعيهم باطلاً ، فالشكور لا يضيع أجر محسن ، ولا يعذب غير مسيء .

ـ فشكره سبحانه اقتضى أن لا يعذب المؤمن الشكور ، ولا يضيع عمله وذلك من لوازم هذه الصفة . ومن شكره سبحانه أنه يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير ولا يضيع عليه هذا القدر .

ـ ومن شكره سبحانه أن العبد من عباده يقوم له مقاماً يرضيه بين الناس فيشكره له وينوه بذكره ويخبر به ملائكته وعباده المؤمنين ، كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام وأثنى به عليه ونوه بذكره بين عباده وكذلك شكره لصاحب " يس" مقامه ودعوته إليه فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك ، فإنه سبحانه غفور شكور ، يغفر الكثير من الزلل ويشكر القليل من العمل .

ـ ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها واتصف بضدها وهذا شأن أسمائه الحسنى أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها ، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها ولهذا يبغض الكفور والظالم والجاهل والقاسي القلب والبخيل والجبان والمهين واللئيم ، وهو سبحانه شكور يحب الشاكرين ، صبور يحب الصابرين ، جواد يحب أهل الجود ، ، عفو

---

[1] سورة النساء : آية : ١٤٧ .

يحب العفو ، وهو سبحانه جميل يحب الجمال ، عليـــم يحـــب العلمـــاء رحيم يحب الراحمين ، محسن يحب المحسنين ، وكل ما يحبه فهو مـــن آثار أسمائه وصفاته وموجبها ، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها ومن تعلق بصفة من صفاته أخذت بيده حتى تدخله عليه ومن سار إليـــه بأسمائه الحسنى وصل إليه ومن أحبه أحب أسماءه وصفاته ، والســـعادة كلها في طاعته والأرباح كلها في معاملته ، والمحن والبلايا كلـــها فـــي معصيته ومخالفته ، فليس للعبد أنفع من شكره وتوبته ، يطـــاع فيشـــكر وطاعته من توفيقه وفضله ، ويعصى فيحلم ومعصية العبد مـــن ظلمـــه وجهله ، ويتوب إليه فاعل القبيح فيغفر له حتى كأنه لم يكن قط من أهلـــه الحسنة عنده بعشر أمثالها أو يضاعفها بلا عدد ولا حســـبان ، والســـيئة عنده بواحدة ومصيرها إلى العفو والغفران وباب التوبة مفتوح لديه منـــذ خلق السموات والأرض إلى آخر الزمان .

*****

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيـــه ، كمـــا يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله حمـــداً يمـــلأ السموات والأرض وما بينهما وما شاء ربنا من شئ بعد بمجامع حمـــده كلها ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، على نعمه كلها ما علمنا منها وما لـــم نعلم ، عدد ما حمد الحامدون ، وغفل عن ذكره الغافلون وعدد ما جـــرى به قلمه وأحصاه كتابه وأحاط به علمه . وصلى الله وسلم علـــى ســـيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ورضى الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة ـ نوسا البحر
☎٠٥٠/٤٤١١٩١